جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

– شعبة التاريخ –

التصوف في المغرب الأوسط

خلال العهد الزياني

(633–962هـ/ 1235–1554م)

مذكرة مُقدَّمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ.

تخصص: تاريخ وحضارة المغرب الأوسط.

إعداد الطالب:

✍ سفيان بويدية

إشراف الأستاذ:

❖ أ/ مسعود كواتي

الموسم الجامعي: 1435 – 1436هـ/2014– 2015م

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية و الانسانية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة: التاريخ

التصوف في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني

(633– 962هـ / 1235 –1554 م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ .

تخصص : تاريخ و حضارة المغرب الوسط

إعداد الطالب :

- سفيان بويدية.

الأستاذ المشرف:

مسعود كواتي.

اللجنة المناقشة :

أ/محمّد تكيالين.....رئيسا.

أ/مسعود كواتي .....مشرفا مقررا.

د/ طاهر بن علي .....عضوا مناقشا.

الموسم الجامعي:1435– 1436هـ/2014–2015م

بسم الله الرّحمان الرّحيم وصلّى على سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم.

اللهم صلّ على سيّدنا محمّد وعلى آل سيدنا محمّد، كما صلّيت على سيّدنا إبراهيم وعلى آل سيّدنا إبراهيم، وبارك على سيّدنا محمّد وعلى آل سيّدنا محمّد، كما باركت على سيدّنا إبراهيم وعلى آل سيّدنا إبراهيم، في العالمين أنّك حميد مّجيد.

اللّهمّ صلّ صلاة كاملة وسلّم سلاما تامّا، على سيّدنا محمّد الذي تنحلّ به العقد، وتنفرج به الكرب، وتقضى به الحوائج، وتنال به الرغائب، وحسن الخواتم، ويستسقي الغمام بوجهه الكريم، وعلى آله وصحبه في كل لمحة ونفس، بعدد كلّ معلوم لّك.

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

إلهي لا يطيب الليل إلاّ بشكرك ولا يطيب النّهار إلاّ بطاعتك... ولا تطيب اللّحظات إلاّ بذكرك... ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك...

ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك جلّ جلالك
إلى من بلغ الرسالة وأدّى الأمانة... ونصح الأمة... إلى نبي الرحمة ونور العالمين...
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

إلى من كانا سببا في خروجي إلى هذا الوجود:
إلى من كلّله الله بالهيبة والوقار... إلى من علّمني العطاء بدون انتظار...إلى من أحمل إسمه بكل افتخار...

أرجو من الله أن يمد في عمرك لترى ثماراً قد حان قطافها بعد طول انتظار

والدي العزيز: محمّد عبد الرّحمان.

إلى ملاكي في الحياة ... إلى معنى الحب الحنان والتفاني... إلى بسمة الحياة وسر الوجود
إلى من كان دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب
(أمي الحبيبة)

فالوالدان لهما الإحسان على البنين في زمان كانوا

إلى شيخي ومربيّ ومن علّمني وأخّذ بيدي لسلوك مسالك العلم: الشيخ بلخير طالبي بن أحمد.

إلى جميع أفراد عائلتي من إخوة وأخوات ومن قريب وبعيد وإلى جميع من مدّ لي يد العون...

إلى كلّ من تاقت نفسه إلى العلم وشغفت به واستنارت بنوره في دروب الحياة الشّاقة ولم ترضى بغيره بديلا

إلى كل من نصحني وأرشدني وذمّني وعاتبني من أجل العلم.....

أهدي ثمرة هذا البحث المتواضع.

سفيان بن محمد عبد الرحمان بويدية

الشكر و التقدير

الحمد لله و الصّلاة و السّلام على من لا نبي بعده و على آله وصحبه ومن والاه

لو كنت أعلم فوق الشكر منزلة أغلى من الشّكر عند الله في الثمن

إذَن مَنحـتكَـهَا منّي مُهذبَـة حذوا على حذو ما أوليت من حسن

و عليه فإنّني أتقدّم لكل من مدّى لي يد العون من أجل إنجاز هذا العمل، بالشكر الجزيل، وأخص بالذكر أستاذي المشرف المحترم الذي قدّم لي كل التسهيلات،من كتب ومعلومات وبتّوجيهات القيّمة والنّصائح الثّمينة...الذي يتحمّل عناء السّفر من أجل تعليمنا وتنوير عقولنا.... الذي أفحمني بأبّوته وبساطته... فكان أفضل صديق، ونعم أب **الدّكاترة مسعود كواتي**

و أستاذي ووحيد زمانه صاحب العلم الغزير، والفكر المنير، والرأي السديد، ذو البساطة والإنسانية، والتواضع والعفوية، مدرسة يستضاء بها حتّى في التجارب والحياة الدنياوية **الدكتور طاهر بن علي**.

و أستاذي وأخي اللّطيف، وبإبتسامته الدائمة ظريف، صاحب المنهجية وموسوعة في المذاهب الإسلامية الأستاذ **عبد الجليل ملاخ**، وأستاذي الفاضل المحترم **إبراهيم بحاز**.

كما أشكر جميع أساتذتي المحترمين الذين ساهموا في تكويني من الابتدائي إلى التعليم الجامعي وأوجّه شكر لإخواني وأخواتي الطلبة، رفقاء درب الدّراسة، على مساندتهم وتشجيعاتهم الدّائمة وأخص بالذكر: الأخضري عبد النّاصر، الشّرنة الحاج أحمد، سعيد سبقاق، محجوب محمد، عبد الحكيم بومهراس، لحباكي الشريفة، بن علي عموري.....

ويمتد شكري العميق لأخي وصديقي إبراهيم سكيريفة، وللأختان الزهرة محجوب وبوزيد حسنية نوال، دون أن أنسى عمّال المكتبة الذين قدّموا لي كل التّسهيلات ولم يتوانوا في مساعدتي.

إليكم جميعا جزيل الشكر ووفقنا الله وإيّاكم إلى ما فيه الخير لنا ولكم

سفيان بن محمد عبد الرّحمان بويدية.

قائمة الرموز والمختصرات

الرموز	المصطلح
مج	مجلد
ج	الجزء
ص	الصفحة
ص ص	من الصفحة كذا إلى الصفحة كذا
ط	الطبعة
تح	تحقيق
تر	ترجمة
ض ب	ضبط المتن
انظر	تعني الإحالة على صفحة من الكتاب
م	الميلادي
هـ	الهجري
د–ب	بدون بلد
د_م	بدون مكان النشر
د_ط	بدون طبعة
د–ت	بدون تاريخ
p	صفحةPage

المقدمة

المقدمة:

شهد المغرب الإسلامي، العديد من الصراعات السياسية، والتصادمات العسكرية، خاصة بالمغرب الأوسط التي ظهرت بها الدولة الزيانية، بعد انهيار الدولة الموحدية، فعمل سلاطينها على تثبيت كيانها، مما أدّى إلى بروز العديد من الظواهر والقضايا، التي تميّزت بها عن الدول التي سبقتها.

ويعتبر التصوف من اهم الظواهر التي ميّزت الفترة الزيانية، من قيامها إلى سقوطها، فقد لقي المتصوّفة إهتمام سلاطين الدولة، والعوام، ورجال الدين، ما مكّنهم من المساهمة في مختلف مجالات الحياة، من الاستقرار السياسي، والتلاحم الاجتماعي، والرسوخ الديني، والنهضة العلمية الفكرية، وتكوين العديد من العلماء والمتصوفة، فتزايد إنتشاره طيلة ثلاث قرون، وعليه جاء موضوع الدراسة المعنونة بـ: **التصوف بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني (633– 962هـ/ 1235 –1554م)**، والتي أسعى من خلالها إبراز القليل من مدى تأثير وإسهامات المتصوفة في مختلف الميادين، خاصة علاقاتهم بالسلاطين ، والمجتمع، ورجال الدّين، ودورهم في التّعليم.

الإشكالية العامة: ما هو دور الذي قام به المتصوّفة في مختلف المجالات خلال العهد الزياني ؟

وإندرجت عنه مجموعة من التساؤلات تمثلت فيما يلي:

- ما هي العوامل التي ساهمت في إنتشار ظاهرة التصوف في الفترة الزيانية ...؟.
- كيف كانت علاقة المتصوّفة بالسلاطين، وما الدور الذي الذي قاموا به في الأوضاع السياسية؟
- ما هو دور الذي لعبه المتصوفة في الحياة الاجتماعية؟، وما مدى تأثيرهم على مجتمع الدولة الزيانية؟.
- من هن أبرز نساء و أسر المتصوفة خلال الفترة الزيانية؟.
- كيف كانت علاقة المتصوفة برجال الدين (الفقهاء)؟.
- ما هي أبرز الرباطات والزوايا التي اشتهرت خلال الفترة الزيانية؟.
- كيف ساهم المتصوفة في التعليم وتطوير الحركة العلمية؟.

أسباب إختيار الموضوع:

ويرجع سبب اختيار الموضوع، للرغبة الشخصية في التعرف على التصوّف والمتصوّفة بالمغرب الأوسط خلال الفترة الزيانية، ومدى إسهاماتهم في مختلف الميادين خلال الفترة الزيانية، وتوضيح مكانتهم لدى السلاطين والعوام.

خطة البحث:

وللإجابة على هذه التساؤلات قّسمت البحث إلى مقدمة فصل تمهيدي وثلاث فصول.

أمّا المقدّمة فتناولت فيها إشكالية الموضوع وأهم أسباب التي دفعتني لاختياره والمنهج المتّبع، وأهم المصادر والمراجع، والصعوبات التي إعترضتني في البحث.

ففي الفصل التّمهيدي تطرقت فيه لتعريف بالتصوف لغة واصطلاحا ولأنواعه، ثمّ تحدثت عن جغرافية الدّولة الزيانية، والعوامل التي ساهمت في انتشار

والفصل الأول كان عن الدّور السياسي والإجتماعي للمتصوفة، فتحدثت أوّلا عن الوضع السياسي من خلال إيضاح علاقة المتّصوفة بالسّلطة ومكانة المتصوفة ودورهم في الأزمات التي ألمت بالدولة الزّيانية.

ثم تطرقت لتأثير المتصوفة في الحياة الاجتماعية، من خلال إبراز إسهاماتهم في الإصلاح والتكافل الاجتماعي وكذا الأسر التي إشتهرت بالتّصوف وما نتج عنها من النساء المتصوفات والمصاهرات.

أمّا الفصل الثاني: فخصصته لتأثير المتصوفة في المجال الديني العلمي فتطرقت أوّلا للمجال الدّيني مبرزا علاقة المتصوفة بالرجال الدين(الفقهاء)، فالرّباطات والزّوايا التي إتخذت مقرا من طرف المتصوفة للعبادة والتّعليم، ثم ذكر بعد قضايا المتصوفة من خلال النّوازل(حرق كتاب الامام الغزالي، السّماع، إتّخاذ الشيخ، والكرامات)، ثم تناولت إسهامات المتصوفة في الحركة العلمية، بداية بتدريسهم لمختلف الفئات العمرية، وكذا إنتاجهم الفكري في بعض العلوم النّقلية(الفقه، علم القرءان والتّفسير، علم الحديث، اللّغة والأدب)، والعلوم العقلية فاقتصرت على (علم الرّياضيات، والمنطق).

في حين أنّ الفصل الثالث خصّصته لنموذجين من متصوفة العهد الزّياني، ويتمثل في الشّيخ الحسن أبركان، فتطرقت للتعريف به وبنسبه، فحياته العلمية، ثمّ زهده وكراماته.

والشّخصية الثانية الشّيخ محمد بن يوسف السّنوسي، فقمت بالتّعريف به ومكانته العلمية، ثم تحدثت عن إسهاماته الفكرية، التّي شملت مختلف العلوم العقلية والنّقلية صفاته الخلقية وما عرف به من كرامات. واختتمت الدّراسة بخاتمة كانت عبارة عن إستنتاجات المستخلصة.

الإطار الزماني والمكاني للدراسة:

ولكي أُلم بالموضوع حددت الدّراسة كالأتي:

الإطار المكاني: من تخوم بجاية وبلاد الزّاب شرقا، إلى وادي ملوية غربا، ومن ساحل البحر المتوسط شمالا، إلى إقليم توات جنوبا، علما أنّ الحدود لم تكن لها معالم ثابتة للمد والجزر الذي شهدته المنطقة.

الإطار الزماني: فقد حددته من قيام الدولة الزيانية 633هـ/ 1235م، الى سقوطها سنة 962هـ/ 1554م.

المنهج المتّبع:

ولقد اتبعت المنهج التاريخي الوصفي، الذي يتناسب مع سرد الأحداث التاريخية، ويتخلّله التّحليل بين الفينة والأخرى.

الصعوبات:

إن من أبرز العقبات التي واجهتنا في دراستي هذه:

-قصر المدّة الزّمنية للبحث، خاصّة وأنّ موضوعي يعتمد على المعلومات التي تتوفر بين ثنايا كتب المناقب والتّراجم.

-صعوبة واستحالة الإلمام بالموضوع في قرونه الثلاث.

الدراسات السابقة:

لم يحظ التّصوف بكثير من البحوث والدّراسات الأكاديمية العلمية المتخصّصة التي أرّخت للمغرب الأوسط، ما عدا الدّراسات التّالية:

-عبيد بوداود: ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (ق 13-15م) دراسة في التاريخ السوسيو ثقافي، يعتبر دراسة هامة في الموضوع، واستفدت منه في الفصل الأول، في العلاقة التي كانت بين السلاطين والمتصوّفة.

الطّاهر بونابي: التصوّف بالجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين و12 و13الميلاديين، يعتبر دراسة هامّة، واستفدت منه في دور المتصوّفة في الحياة العلمية.

-الطّاهر بونابي: الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين 14-15الميلادين، دراسة هامّة ومعمّقة عن الموضوع، واستفدت منه في الحياة الإجتماعية.

أهم المصادر والمراجع:

أ/المصادر:

اعتمدت في هذه الدراسة على مجموعة من الصادر، أهمها:

-ابن مريم التلمساني (ت 1014هـ): البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، اعطاني معلومات قيمة في المجالات االسياسي والاجتماعي والديني والعلمي.

-ابن مرزوق الخطيب (ت 781هـ/1379م): المناقب المرزوقية، واستفدت من معلوماته التاريخية القيّمة عن عائلة المرازقة، والنّساء الصّالحات منهنّ.

-يحي بن خلدون (ت780هـ/1378م): بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، اعطاني معلومات قيمة عن السلاطين وعلاقتهم بالمتصوفة.

-أبو القاسم القشيري (ت 465هـ/1067م): الرسالة، احتوت على معلومات هامة عن التعريف التصوف واختلاف المتصوفة في اشتقاق الكلمة.

-كمال الدين القاشاني (ق 8هـ): اصطلاحات الصوفية، استفدت منه في إزاحة اللبس عن مصطلحات المتصوفة.

-أحمد الغبريني (ت644 هـ/1246م): عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، واحتوى على معلومات قيمة عن متصوفة بجاية واسهاماتهم في الحياة الاجتماعية.

-ابن خلدون عبد الرحمان (ت 808هـ/1406م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، استفدت منه في التعريف بالتصوف وبالعلوم العقلية والنقلية.

- أبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي (ت 914هـ/1508م): المعيار المعرب والجامع المغرب في فتاوي أهل

إفريقية والأندلس والمغرب، احتوى على معلومات دينية هامة جدا، تتضمن منها فتاوى علماء المغرب الأوسط حول قضايا التصوف.

ب/المراجع:

-عبد العزيز الفيلالي: تلمسان خلال العهد الزياني، احتوى على كم هائل من المعلومات في مختلف المجالات، خاصة العلمية والاجتماعية.

-مختار حساني: تاريخ الجزائر الوسيط، اعطاني معلومات قيّمة وموجزة عن حياة المتصوّفة الإجتماعية، وعن المرأة المتصوّفة.

-الفرد بل: الفرق الإسلامية في الشّمال الإفريقي، يحتوي على معلومات قيّمة عن مآثر السّلاطين واهتمامهم بالمتصوفة.

- إبراهيم إبراهيم ياسين: مدخل الى التصوف الفلسفي، اعطاني معلومات قيّمة عن التّصوف الفلسفي وابرز شخصياته.

- عامر النجار: الطرق الصوفية في مصر نشأتها ورادها، أعطى معلومات هامة عن تاريخ التصوف الطرقي.

- محمد فتحة: النوازل الفقهية والمجتمع، أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي من القرن 6إلى9هـ/12 ، 15م، اعطى لي معلومات عامة عن اندماج المتصوفة في الحياة الاجتماعية ومكانتهم في الحياة السياسية لدى السلاطين.

ومجموعة من المجلات والمقالات منها:

- صالح فركوس: تاريخ الجزائر الثقافي من العهد الفينيقي الى نهاية الدولة الزيانية، جامعة قالمة، ج1، 2011. وساعدني من خلال المعلومات القيمة التي يحتويه عن إسهامات المتصوفة في العلوم النقلية.

- العماري الطيب: الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر، التحول من الديني إلى الدنيوي ومن القدسي إلى السّياسي -دراسة أنثروبولوجيا – مجلة العلوم السّياسية والإجتماعية، جامعة بسكرة، العدد 15، جوان، 2014م، احتوى على معلومات هامة عن الزّوايا والوظائف التي كانت تقوم بها.

- ساعد خميسي: **حول حقيقة التصوف**، مجلة جامعة الأمير عبد القادر، ع 12، رجب 1423– سبتمبر2002م، أعطى لي معلومات مختصرة عن التصوف بمنظوره العام.

الفصل التمهيدي: التصوف وإرهاصاته في المغرب الأوسط

- **المبحث الأول: ماهية التصوف.**

✓ **المطلب الأول: تعريف التصوف.**

✓ **المطلب الثاني: أنواع التصوف.**

- **المبحث الثاني: : الجغرافية وعوامل بروز الحركة الصّوفية في المغرب الأوسط.**

✓ **المطلب الأول: الحدود الجغرافيا للمغرب الأوسط.**

✓ **المطلب الثاني: العوامل المساهمة في إنتشار التصوف بالمغرب الاوسط**

المبحث الأول: ماهية التصوف.

أثارت تسمية التصوّف جدلا واختلافا بين مؤرخي التّصوف، فتعدّدت الآراء والأقاويل وكل يفسّرها بحسب فهمه وإدراك ومنطلقاته، حتى لدى المتصوفة نفسهم، يعتبر التصوف "إسم حادث لمسمى قديم"[1]،

المطلب الأول: تعريف التصوف.

أ/لغة: وردت عدّة إشتقاقات لغويّة للتصوّف منها:

- **التصوّف** بمعنى تنسّك أو ادّعاه[2].

-قيل من **الصّوف:** قال بعضهم " سمّو الصّوفية للبسهم الصّوف"[3]، وفي اللّغة الصّوفي من الصّوف وهو ما ذهب إليه ابن تيمية[4]، وعبد الرحمان ابن خلدون في قوله " والأظهر إن قيل بالإشتقاق أنّه من الصّوف وهم في الغالب مختصّون به[5]، وهو ما يوافق فيه الإمام القشيري من ناحية اللّغة، كما يقول

---

[1]- محمد سعيد رمضان البوطي: **السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي**، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، لبنان، سورية،2004، ص189.

[2] - محمّد مرتضي الحسيني الزبيدي: **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق مصطفى حجازي، د ط، مطبعة حكومة الكويت، الكويت 1408ه/ 1987م، ج12، ص 42.

3- أبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي: **التعريف لمذهب أهل التصوف**، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1993م، ص 10. وانظر أبي عبد السلام السلمي: **طبقات الصوفية**، تحقيق محمد خالد العطار، دار الفكر، بيروت،2014 ، ص 5. أحمد بن تيمية، **مجموع الفتاوى**، جمع وترتيب عبد الرحمان ابن أحمد بن قاسم، مجمع الملك بن فهد للطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية،2004م، ج10، ص369م. احسان إلهي ظهير: **التصوّف المنشأ والمصدر**، إدارة ترجمان السنة، باكستان، ط1، 1986م، ص20. محمّد علي التّهناوي: موسوعة كشّاف إصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق علي دحروج، مكتبة لبنان، بيروت، 1996م، ج1، ص457

[4]- هو تقي الدّين أبو العبّاس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحرّالي الحنبلي، المجتهد، ولد سنّة661 ه وتوفي سنة 728ه، انظر: ابن العماد شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدّمشقي (ت1089ه): **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، تحقيق، محمود الارناؤوط، مجلد الثامن، 1992م، ص 142.

5-عبد الرحمان ابن خلدون: **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ضبط خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ج 01،2001م، ص611.

تقمّص إذا لبس القميص لكنّهم لم يختصوا بلبس الصّوف في نظره[1]، بينما يرى ابن منظور أنّها تطلق على مختلف أنواع الحيوانات من الشّاة والغنم والكبش والضّأن وغيرهم[2].

-قيل من **الصّفاء**، وذلك لصفاء أسرارهم ونقاء أثارهم[3].

قال بشر الحافي[4] " الصوفي من صفا قلبه لله"[5]، وهذا لطهر أنفسهم من جميع الشّهوات والملذّات والنّزوات وجاء في اللّمع للسّراج الطوسي " مأخوذ من الصّفاء وهو القيام لله عزّ وجل بشرط الوفاء"[6]، وهو ما يخالفه فيه القشيري، إذ يعتقد أن هذا ليس له أصل في اللغة[7]، وهنا يقول أبو فتح البستي[8] رحمه الله:

تخالف الناس في الصوفي واختلفوا قدما وظنّوه مشتقّا من الصوف

ولست أمنح هذا الإسم غير فتى صافى فصوفي حتى لقّب الصُّوفي[9].

1-أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن أبن عبد الملك أبن أبي طلحة القشيري: **الرسالة القشيرية**، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، ط1، د ت، ص273.

2 – أبو الفضل جمال الدّين محمّد ابن مكرم ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، دس، مجلد9، ص200.

3- الكلاباذي: المصدر السابق، ص10. محمد عبد المنعم الخفاجي: **الأدب في التراث الصوفي**، مكتبة غريب، القاهرة، د ت، ص 25. محمّد علي التّهناوي: المرجع السّابق، ج1، ص457

4 - مات ببغداد 10محرم 227هـ انظر عبد الوهاب الشعراني: **الطبقات الكبرى المسماة لواقح الانوار القدسية في مناقب العلماء الصوفية**، تحقيق وضبط أحمد عبد الرحيم السباح وتوفيق علي وهبة، مكتبة الثقافة، القاهرة، 2005م، ص 133. وجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمان بن علي بن الجوزي: **صفوة الصفوة**، دار الجيل، بيروت ط1،1992م، ص529.

5- الكلاباذي: المصدر السابق، ص 9.إحسان ألهي ظهير: المرجع السابق، ص 20.

6-أبو السرج الطوسي: **اللّمع**، تحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي، دار الكتب الحديثة، مصر ومكتبة المثنى، بغداد، 1960م، ص46.

7- أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن أبن عبد الملك أبن أبي طلحة القشيري : **الرسّالة القشيرية**، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، ط1، د ت، ص273.

8- هو علي بن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد بن عبد العزيز البستي أبو الفتح، نسبة لبست بأفغانستان وإليها ينسب توفي سنة 387هـ/977م. أبو الفتح البستيّ، **ديوان**، تحقيق، دريّة الخطيب ولطفي الصقّال، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ص 4.

9-البستي: المصدر نفسه، ص 134. أحمد بن محمد بن عجيبة(1224هـ): **إيقاظ الهمم في شرح الحكم**، دار الفكر، د ب، د ت، ص6.

– قيل من **الصفة:** لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصفة[1] وهم قوم كانوا أو جماعة من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا ينزلون في مكان خلف الحجرات في المسجد النبوي وعرف المكان بهم وكان شغلهم وعملهم العبادة

- قيل نسبة **لغوث بن مر** لنذر أنذرته أمه إن عاش لها لتعلقن برأسه صوفة[2].
- قيل نسبة إلى **صوفيا اليونانية**[3]، بمعنى الحكمة لأن هؤلاء القوم كانوا يطلبون الحكمة، فحرفت إلى صوفية ومنها سمي الفيلسوف فيلاسوفيا.
- قيل نسبة **للصف الأول** لأنهم في المرتبة الأولى بقلوبهم من حيث ذكرهم لله ومحاضرتهم له[4].
- قيل من **الصفات الحميدة:** لإتصافهم بالأخلاق الحميدة السامية، وتركهم للأوصاف الذميمة.[5]
- قيل نسبة **لصوفانة** وهي بقلة أو إلى "صوفة القفا"، وهي الشعرات النابتة عليه[6].

ب/ إصطلاحا: إختلفت التّعريفات عن معنى الاصطلاحي للتصوّف، فعرّفه ابن خلدون بعد تفكير وتدقيق، أنّه "... حسن الأدب مع الله في الأعمال الباطنة والظاهرة، بالوقوف على حدوده، مقدما

---

[1]–جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمان بن الجوزي البغدادي: **تلبيس إبليس**، دار القلم، بيروت، د ت، ص156.إبن عجيبة: المصدر السابق، ص6 .احسان إلهي ظهير: المرجع السابق، ص 21.الخفاجي: المرجع السابق، ص 26.Denis gril: de l'usage de l'usage :Denis gril.26 الخفاجي: المرجع السابق، ص 21. احسان إلهي ظهير: المصدر السابق، ص6 .إبن عجيبة: المصدر السابق، ص156.جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمان بن الجوزي البغدادي: **تلبيس إبليس**، دار القلم، بيروت، د ت، ص

[2]– إبن الجوزي : المصدر السابق،156. الخفاجي: المرجع السابق، ص 26. فاطمة داود: **التصوف الإسلامي مفهومه وأصوله**، حوليات التراث، العدد1 ، جامعة مستغانم، الجزائر، 01، د ش،2004م. ص 64.

3– محمد أحمد لوح: **تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي**، دار إبن القيم، مصر، ط1، 2002، ج10، ص 36. عرفان عبد الحميد فتاح، نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، دار الجيل، بيروت، ط1، 1993م، ص121. ملكه علي التركي: **مدخل إلى الأدب الصوفي الفارسي**، جامعة عين الشمس، د ب، ط2، 1998م، ص6.محمد عبد المنعم خفاجي: المرجع السابق، ص25. دائرة المعارف الإسلامية: موجز دائرة المعارف الإسلامية، **مادة التصوف**، تحرير إبراهيم زكي خورشيد وأخرون، مركز الشارقة للإبداع الفكري، د ب، 1998م، ص2215

[4]– ابن تيمية: **مجموع الفتاوة**: المصدر السابق، ج 10، ص369.

[5]–ابن عجيبة: المصدر السابق، ص6.

[6]– إبن منظور: المصدر السّابق، مج 9، ص 200. دائرة المعارف الإسلامية: المرجع السابق، ص2214 .

اهتمام بأفعال القلوب، مراقبا خفاياها، حرصا بذلك على النجاة..."[1]، ورغم تعريفه الذي ذكر فيه لأهم صفات المتصوّفة إلّا أنّ مفهوم التصوّف تعدد وتنوع أكثر من المصطلح ذاته، ليس تعدد في التصوّف، وإنما لتنوّع المقامات[2]، والأحوال[3]، كما أن المتصوف ابن وقته، وهم أرباب أحوال لا أصحاب أقوال[4]، فلا يمكن وصفها أو تبيينها، لأنّها متعلّقة بالوجدان، ويستحيل نقلها في ألفاظ دقيقة، كما يشير فيصل بدير عون في كتابه، أن ما يكتب عن التصوّف لن يقدّم لنا التجربة الحية لأي صوفي مهما كانت فصاحة الكاتب ودقة تعبيره[5]، بخلاف العلوم التي تنال بالتّعليم والكسب كالنحو واللغة ... وممّا قيل عنهم في حالهم قول الامام عبد الوهاب الشعراني:" ...إذ العبارة لا تضبطه كمن يصف العسل لمن لم يره ولم يذقه، فوصفه يقصر عن إيصال الطعم إليه، على أنيّ حذفت غالب ما لا يدركه إلا بالذوق خوفا من ردّه إذا راه من لم يذق وأنكر فهو معذور، وكل عالم إذا ذاق علما فوق علمه لا يمكنه التقيد معه...."[6].

وقول إبن عجيبة: "...ليس هو القلقلة باللسان وإنّما هو أذواق ووجدان، ولا يؤخذ من الأوراق، وإنّما

1- عبد الرحمان بن خلدون: **شفاء السائل لتهذيب المسائل**، تحقيق أبو يعرب المرزوقي، الدار العربية للكتاب، تونس،1991م، ص183.

2– المقام: استيفاء حقوق المراسم ...وبمعنى مقام العبد بين يدي الله عز وجل فيما يقوم به من مجاهدات وعبادات ورياضات قال تعالى: "ذلك لمن خاف مقام وخاف وعيد ..."، انظر كمال الدين القاشاني: **إصطلاحات الصوفية**، تحقيق، محمد كمال إبراهيم جعفر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1981م، ص87. رفيق العجم: **مصطلحات التصوف الإسلامي**، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1999م، ص972.

3- الأحوال: المواهب الفائضة على العبد من ربه، وهو ما يحل بالقلوب او تحل به القلوب، القاشاني: المصدر نفسه، ص26.محمد كمال إبراهيم جعفر: المرجع نفسه، ص20.

4- انظر أحمد الرفاعي : **حالة أهل الحقيقة مع الله**، دار جوامع الكلم، القاهرة، د ت، ص59.

5- فيصل بدير عون: **التصوف الإسلامي الطريق والرجال**، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، 1983م، ص20.جميل حمداوي: **المصطلح الصوفي**، مجلة المنهاج، العدد 55،2009م، ص 100.

6–عبد الوهاب الشّعراني: **الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية**، العامرة الشرقية، مصر، ط1، 1317هـ، ص5.

يؤخذ من أهل الأذواق، ولا ينال بالقيل والقال، وإنّما يؤخذ من خدمة الرجال، وصحبة أهل الكمال، والله ما أفلح من أفلح إلّا بصحبة من أفلح"[1].

- الكلاباذي:"... مشاهدات القلوب، ومكاشفات الأسرار، لا يمكن العبارة عنها على التّحقيق بل تعلم بالمنازلات والمواجيد، ولا يعرفها إلّا من نازل تلك الأحوال، وحلّ تلك المقامات..."[2]
- إبن عربي[3]: "...علم الأحوال لا سبيل إليها إلا بالذوق، فلا يقدر عاقل على أن يحدها ولا يقيم على معرفتها دليلا البتة، كالعلم بحلاوة العسل، ومرارة الصبر، ولذة الجماع والعشق والوجد والشوق وما شاكل هذا النوع من العلوم، من المحال أن يعلمها أحد إلاّ بأن يتصف بها ويذوقها وشبهها من جنسها من أهل الذوق..."[4].

ومن بعض التّعريفات:

أ- بمعنى الزهد:

- معروف الكرخي[5]:" التصوف الاخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق "[6].
- النّوري[7]: "التّصوف من لا يتعلق بشيء ولا يتعلق به شيئ ".
- ذو النون المصري[8]:" الصوفي من لا يتعبه طلب

1- ابن عجيبة : المصدر السابق، ص8.

2- الكلاباذي: المصدر السابق، ص100.

3- محي الدين أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن أحمد الطائي الحاتمي المرسي، ولدة سنة 560هـ، وتوفي 638هـ، انظر ابن عماد، المصدر السابق، ج8، ص 332.

4- محي الدين بن عربي: **الفتوحات المكية**، تحقيق، عثمان يحي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،1985م، السفر الأول، ص133.

5-أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي يلقب بالزّاهد، عرف بالورع والفتوة كان أستاذ سري السّقطي توفي سنة 200هـ، انظر الشعراني: المصدر السابق، ص133، السلمي: المصدر السابق، ص 29.

6 - السّلمي: المصدر نفسه، ص 6.

7 - أحمد بن محمد بغدادي المولد والمنشأ خرساني الأصل يعرف بابن البغوي توفي سنة 295هـ السلمي: المصدر نفسه، ص 53.

8- اسمه ثوبان بن إبراهيم المصري الأخميمي، توفي سنة245هـ، السلمي: المصدر نفسه، ص 129.

- سمنون بن محب[1]: "التصوّف ألّا تملك شيء، ولا يملكك شيء".

ج-بمعنى الأخلاق:

- أبو محمد الجريري[2]: "التّصوّف دخول في كل خلق سنّي والخروج من من كل خلق دنيّ "[3].
- الكتّاني[4]: " التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف ".

-محمد بن علي القصاب[5]: التصوف أخلاق كريمة ظهرت في زمن كريم من رجل كريم مع قوم كرام.[6]

- أبو الحسين النوري: " ...وليس التصوف رسما ولا علما، ولكنّه خلق، أو هو تخلق بأخلاق الله.

د-بمعنى الصفاء:

- بشر الحافي[7]:" الصوفي من صفا لله قلبه "
- الشبلي[8]: " التصوف جلوس مع الله بلا هم "[9].
- سهل بن عبد الله[10]: "الصوفي من صفا من الكدر، وامتلأ من الفكر، وانقطع إلى الله عن البشر، واستوى عنده الذهب والمدر".

---

1 -هو سمنون بن حمزة كان يتكلم في المحبّة بأحسن كلام، وهو من كبار مشائخ العراق، مات بعد الجنيدي (ت297هـ)، السلمي: المصدر السابق، ص 6،65.

2- هو أحمد بن محمد بن حسين الجرير، توفي سنة 311هـ، انظر: ابن الملقن: سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد المصري (ت 804هـ): **طبقات الاولياء**، تحقيق نور الدين شريبة، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1994م، ص71.

3-القشيري: المصدر السابق، ص273 .

4- محمد بن علي بن جعفر نسبة إلى الكتان وعمله توفي 322هـ ابن الملقن: المصدر السابق، ص145. القشيري: المصدر السابق، ص275.

5- هو أستاذ الجنيدي محمد بن علي القصّاب أبو جعفر القصاب وقال الجنيدي عنه " الناس ينسبونني الى سريّ، إنما أستاذي هذا (أي القصاب). ابن الملقن: المصدر السابق، ص136 .

6- القشيري : المصدر نفسه، ص 273.

7 - ابوا نصر بشر بن الحارث الحافي توفي 227. الشعراني: المصدر السابق، ص 133

8- قيل اسمه دلف بن جعفر وقيل دلف بن جحدر...توفي سنة 296هـ. الشعراني: المصدر نفسه، ج1، ص133.

9- القشيري : المصدر السابق، ص 275.

10- سهل بن عبد الله بن يونس التستري، توفي 270هـ، ابن جوزي المرجع السّابق، ص271.

هـ –بمعنى المجاهدة:

- الجنيد[1]: التصوف عنوة لا صلح فيها.
- عمرو بن عثمان المكي[2]: " التصوف أن يكون العبد في كل وقت بما هو أولى به في كل وقت"[3].

و–بمعنى طريق السالكين:

- قال الجنيدي:" الصوفية هم أهل بيت واحد، لا يدخل فيهم غيرهم".
- أبو سليمان الداراني:" التصوف أن تجري على الصوفي أعمال لا يعلمها إلّا الحق، وأن يكون دائما مع الحق على حال لا يعلمها إلّا هو".[4]

ز–بمعنى الإخلاص:

- الجنيدي: التّصوف أن تكون مع الله بلا علاقة[5].
- ذو النون المصري: أهل التصوف هم قوم أثروا الله عزّ وجل على كل شيء، فأثرهم الله على كل

ح–بمعنى التسليم:

قال أبو سهل الصعلوكي: " التصوف الاعراض عن الاعتراض"[6].

رويم: " التصوف استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد".[7]

أبو يعقوب المزايلي:" التصوّف حال تضمحل فيها معالم الإنسانية".[8]

1– الجنيد بن محمد الخزاز القواريري أبو القاسم توفي 297هـ. طبقات الكبرى المصدر السابق، ج 1، ص 154. السلمي: المصدر السّابق، ص

2– هو أبو عبد الله عمرو بن عثمان بن كرب بن غصص المكي توفي سنة297هـ

3– الشّعراني : المصدر نفسه، ج1، ص 162.

4– أبو سليمان عبد الرحمان بن عطية الدّاراني، من أهل داريا قرية من الشّام توفي سنة215هـ. الشعراني، ج1، المصدر السابق، ص 145.السلمي: المصدر السّابق، ص 27.

5– القشيري: المصدر السابق، ص 274.

6– محمد بن سليمان الصعلوكي، أبو سهل، توفي 369هـ، ابن ملقن، المصدر السابق، ص215.

7– رويم بن أحمد البغدادي، توفي 303، ابن الملقن: المصدر نفسه، ص228.

8– القشري: المصدر السابق، ص 276.

فتعدّدت التعاريف، فقد نجد لمتصوف واحد أكثر من تعريف[1]، حسب نوع المتصوّف وطبيعة الممارسة ومقامه، ممّا صعّب على أغلب الدّارسين والمهتمين بمجال التّصوف إدراك حقيقة هذ الأخير واستيعابه، إلّا عن طريق الذوق والقلب والوجدان والحدس وتأويل الممارسة الروحانية ..."[2]، كما يرجع فريد الدين العطّار ذلك الى كلامهم الذي هو "ثمرة للعمل والحال، وليس نتيجة للحفظ والقال، وأنه من العيان لا من البيان، ومن الأسرار لا من التكرار، ومن العلم اللّدني لا من العلم الكسبي، ومن الثورة والهيام، لا من العمل والإقدام..- ويقول-والسبب لعدم شرحنا للأقوال هو أن الأولياء مختلفون، بعضهم من أهل المعرفة، وبعضهم من أهل المعاملة، وبعضهم من أهل المحبة، وبعضهم من أهل التوحيد، وبعضهم جامع لكل ذلك وبعضهم متّصف بصفة وبعضهم لا يتصف بصفة..."[3].

وهذا ما يدل على صعوبة سلك مسلك طريق التصوف، لأنه متعلق بالعلم والعمل، وخاصة الثابت بالطاعات والعبادات، والتوجه إلى الله بالقلب والجوارح وصفاء السريرة متجاوزا كل العقبات والصعوبات التي تواجهه[4].

- **المطلب الثاني: أنواع التصوف.**

تعدّدت الأراء حول مصادر التصوف وتأثرها بالديانات الأخرى فهناك من يرجعها إلى الديانات والحضارات التي سبقته من الرهبنة المسيحية والمذاهب الهندية والمانوية والفلسفة اليونانية[5]، وهذا ما يعني أنّه دخيل على الإسلام وليس له صلة بالإسلام، وهناك من يخالف هذا الرأي ويرى أن التصوف ظاهرة

---

[1]- انظر الشعراني، المصدر السّابق، ج1. ج 2.

[2]- جميل حمداوي: المرجع السابق، ص101.

[3]- فريد الدين العطارد، نقلا عن يعقوب ولد حمزة: التّصوف الإسلامي: المصدر، المؤثرات، الأدوار، من موقع /http://kermesyn.blogspot.com

4 – محمد مرتاض : **التجربة الصوفية عند شعراء المغرب العربي في الخمسية الهجرية الثانية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011، ص 17.

5- فاطمة داود : المرجع السابق، ص64.

إسلامية خالصة، إلا أن المسمى حادث كما يرى إبن خلدون "... من العلوم الشرعية الحادثة في الملّة ..."[1]، ونقتصر بذكر أنواع التصوف في الإسلام:

-التصوف السنّي: لقد نشأة التصوّف السني من حركة الزهد[2]، الذي عُرف به في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته وأتباعه، من إلتزام بأوامر الله سبحانه وتعالى وما نهى عنه، والإبتعاد عن حياة المجون واللّهو والمعاصي، خاصة بعد ثراء المسلمين والفتوحات الإسلامية [3]، فانتشر التّصوف في مائة الثّانية"...لما فشا الأقبال على الدنيا القرن الثاني وما بعده وجنح النّاس إلى مخالطة الدنيا اختص المقيمون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة .."[4]، وعرف بهذا المصطلح، بالإضافة إلى حياة البذخ والتّرف والصرعات والخلافات السياسية والمذهبية التي فشت في المجتمع خلال تلك الفترة، وهو ما يذهب اليه ابن خلدون بقوله"...اختلفت الناس وتباينت المراتب وفشا الميل عن الجادّة والخروج عن الاستقامة ونسي النّاس أعمال القلوب وأغفلوها وأقبل الجمّ الغفير على صلاح الأعمال البدنية والعناية بالمراسم الدّينية من غير إلتفات إلى الباطن ولا إهتمام بصلاحه، وشغل الفقهاء بما تعمّ به البلوى من أحكام المعاملات والعبادات الظّاهرة حسبما طالبهم بذلك منصب الفتيا وهدايا الجمهور...ثم طرقت آفة البدع في المعتقدات وتدعى العباد إلى هذ معتزلي ورفضي وخارجي لا ينفع صلاح أعماله الظّاهرة ولا الباطنة ، مع فساد المعتقد....فانفرد خواص السنّة المحافظون على أعمال القلوب المقتدون بالسّلف الصّالح في أعمالهم الباطنة والظاهرة وسمّوا بالصوفية.."[5]، فسعى هؤلاء القوم إلى الإستقامة في العقيدة الإلتزام بما جاء في الكتاب والسنة فقال الجنيدي "...كتابنا هذا- القرءان- سيد الكتب وأجمعها وشريعتنا أوضح الشرائع وأدقها، وطريقتنا – يعني طريق أهل التصوف- مشيدة بالكتاب والسنة فمن لم يقرأ القرءان ويحفظ السنة

---

[1]- إبن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج1، ص611.

2- قال الشيخ الغزالي أن الزّهد مقام شريف من مقامات السّالكين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إذا رأيتم العبد وقد أعطي صمتا وزهدا في الدنيا فاقتربوا منه فإنّه يلقّى الحكمة"، أبي حامد الغزالي (ت505ه) : **إحياء علوم الدين**، تقديم، صدقي محمد جميل العطّار، دار الفكر، بيروت،2003م، ج4، ص188.

[3]- محمد عبد المنعم الخفاجي: ص9.

[4]- إبن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج1، ص611 .

[5] - ابن خلدون: شفاء السائل، المصدر السابق، ص 180.

ويفهم معانيها لا يصح له الإقتداء به..."[1]، فالتصوّف السنّي مرتبط بالتقوى وتزكية النّفس من الأدران، قال تعالى:"قد أفلح من تزكّى"[2] و قال أيضا:" قد افلح من زكّاها"[3] ثم تطور خلال القرن3هـ بحيث اهتموا أكثر بتربية النفس وإلزامها بالخيرات عن طريق الإرادة والمجاهدة [4]، قال تعالى " والذين جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا"[5]، وقد لخص سهل بن عبد الله التستري [6]التصوف السني بقوله" أصول مذهبنا ثلاثة أشياء: أكل الحلال والإقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في الأخلاق والأفعال، وإخلاص النية في جميع الأقوال"[7].

ثم تطور خلال القرن الخامس هجري فاهتم بصفات الله والوحي والملائكة، وذلك عن طريق المجاهدات وممارستها – مجاهدة التّقوى، ومجاهدة الاستقامة–والاقتداء بالشيخ والإلتزام الخلوة، وخلالها تطرأ مواهب على المريد..[8].

ومن أشهر المصادر التصوف السني، الرسالة لمؤلفها أبي القاسم عبد الكريم بن هوازنالقشيري(ت465هـ/1072م) وكتاب "إحياء علوم الدين" لأبي حامد الغزالي(ت505هـ/1111م)، و"الرعاية لحقوق الله"لأبي عبد الله المحاسبي(243هـ/857م).

– **التصوف الفلسفي**: وهو تصوف يختلف عن التصوف السني الذي اعتمد على الكتاب والسنّة النبوية كالمدرسة الجنيدية والقشيرية، والتصوف الفلسفي هو ذاك التصوف النظري الذي عمد أصحابه

---

[1]– عبد الوهاب الشعراني: **تنبيه المفترين**، تحقيق وائل أحمد عبد الرحمان، المكتبة التوفيقية، مصر، د ت، ص20.

[2]– الأعلى/14.

[3]– الشمس/09.

[4]– الإرادة: مالا يتعلق دائما إلّا بالمعدوم، المجاهدة: محاربة النفس الأمارة بالسوء...، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني: **معجم التعريفات**، تحقيق، محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، 2004م، ص 17. 171. القاشاني: المصدر السابق، ص 27.ابن خلدون: شفاء السائل، المصدر السابق، ص 188.

[5]– العنكبوت/69.

[6]–توفي سهل التستري سنة283هـ، وكان من متكلمي الأشعرية الزاهدين.

[7]–محمد الغمري (ت 820هـ): **قواعد الصوفية**، تحقيق، عبد الحميد صالح حمدان، مكتبة مدبولى، القاهرة، 2003، ص21.

[8]– فريد الدين عطار: المرجع السابق، ص21، طاهر بونابي: المرجع السابق، ص 40.

الى المزج بين أذواقهم الصوفية بأنظارهم العقلية، فتميّز بكثرة الرموز وتنوعها[1]، فكانت بداياته خلال القرن الثالث والرابع للهجرة، وبرز بشكل واضح في القرن السادس والسابع للهجرة، فاستخدمه أصحابه مصطلحات فلسفية وكلامية اكثر مما هي صوفية، وهذا لتأثرهم بالفكر الأجنبي والمذاهب الفلسفية القديمة، من فارسية وبوذية ويونانية[2]، وهذا نتيجة للفتوحات وامتداد الرقعة الجغرافية للاسلام خاصة في خرسان والعراق وانتشار حركة الترجمة[3]، ويرى علي سامي النشار أن بعض المتصوّفة أو المغالين فيه، قد تأثروا بالغنوص[4]، وقالوا "..أن المعرفة الحقة اليقينية لا تدرك إلا بالتأمل الباطني العميق والمجاهدة النفسية في درجات الكشف العلية .."[5]، فيعتبر ذو النون المصري(ت245هـ/859م) من الأوائل الذين تكلّموا في الأحوال والمقامات، وتحديد معالم العرفان، وهناك من يعتبره ممن أدخل الفلسفة الأفلاطونية في التّصوّف الإسلامي[6]،وأبوا يزيد البسطامي(ت270هـ/883م)بنظرية الفناء[7]،ونظرية الحلول[8] والاتحاد[9] التي عرف بها الحسين بن المنصور الحلاج(ت309هـ/921 م)[10]، بمعنى حلول الذات الإلهية في المخلوقات، وبن الفارض(ت(576هـ/1180م) الذي عرف بالحب الإلهي[11]، ومن أبرز رواد التيّار

---

[1]– إبراهيم إبراهيم ياسين: **مدخل إلى التصوف الفلسفي**، د ن، د ب، 2002، ص19.

[2]– محمود إدريس: **مظاهر الإنحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيئ على الأمة الإسلامية**، مكتبة الرشيد، الرياض، ط2، 1998، مج 1، ص54.محمد مرتاض: المرجع السابق، ص 14.

[3]– علي سامي النشار: **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**، دار المعارف، القاهرة، ط9، د ت، ص 78.

[4]– علي سامي النشار: المرجع نفسه، ص 78.

[5]– محمود إدريس، المرجع السابق، ص78.

[6]– ساعد خميسي: **حول حقيقة التصوف**، مجلة جامعة الأمير عبد القادر، ع 12، رجب 1423– سبتمبر2002م، ص85.

[7]– الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص41. ساعد خميسي: المرجع السابق، ص 86.

[8] – بمعنى أن الله تعالى إصطفى أجساما حل فيها بمعاني الربوبية وأزال عنها معاني البشرية. رفيق العجم: المرجع السابق، ص 305.

[9] – بمعنى تصيير الذاتين واحدة وقيل امتزاج الشيء واختلاطهما. القاشاني: المصدر السابق، ص24.الجرجاني: المصدر السابق، ص10، رفيق العجم: المرجع السابق، ص52.

[10] –عرفان عبد الحميد فتاح: **نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها**، دار الجيل، بيروت، ط1, 1993، ص209 .ألفرد بل: **الفرق الإسلامية في الشمال الافريقي من الفتح العربي حتى اليوم**، ترجمة: عبد الرحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م، ص 383.

[11]– هادي العلوي: **مدارات الصوفية**، دفاتر النهج، سوريا، 1997م، ص 48.

الفلسفي: بالإضافة إلى سابقي الذكر نجد السهر وردي المقتول (ت587هـ/1191م)[1]، وأبوا حفص شهاب الدين السهروردي (ت 632هـ) صاحب كتاب عوارف المعارف، ومحي الدين بن عربي (ت638هـ/1240)[2]صاحب كتاب الفتوحات المكية، والفرابي (ت 339هـ/950م)الذي جاء بنظرية الاتصال[3]، وابن سينا(ت428هـ/1036م) الذي تناول نظريته الاشراقيةفي كتابه " الإشارات والتنبيهات" وعبد الحق بن السبعين(ت669هـ/1270م) وغيرهم.

ومما تميز به التصوف الفلسفي عن التصوّف السنّي:

1/أنّهم أصحاب نظريات بسطوها في كتبهم وأشعارهم.2-إسرافهم في الرّمزية، حتى درجة الغموض.3-اعتدادهم الشّديد بأنفسهم وبعلومهم...

يمكن أن نلخص أنّ لتيار الصّوفي الفلسفي على ثلاثة مذاهب:

الأول: أهل المذهب الإشراقي، الإشراق النفسي الذي يفيض في القلب بالنور، والذي يكون نتيجة للتربية النفسية والرياضة الروحية وتعذيب الجسم لتنقية الروح وتصفيتها.

الثاني: مذهب الحلول، وهم القائلون بأن الله يحل في الانسان، كالحلاج[4] الذي قال:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا.

فإذا أبصرتني أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا[5].

---

[1]-عرفان عبد الحميد فتاح: المرجع السابق، ص233 .

[2]-عرفان عبد الحميد فتاح: المرجع نفسه، ص 249.

[3]- أن ينفصل بسره عن ما سوى الله تعالى فلا يرى بسره بمعنى التعظيم غيره، ومكاشفات القلوب ومشاهدات الأسرار، القاشاني: المصدر السابق، ص8، رفيق العجم: المرجع السابق، ص6.

[4] - Ericgeoffroy: lamort du saint en islam،lome 215 ،n° 1،1998 ،les voies de la sainteté dans l'slam et le charstinisme ،p24.

[5]- ابوا عبد الله حسين بن منصور الحلاج(309هـ): **ديوان الحلاج**، جمعه لويس ماسينيون، د ن، د ب، د ت. ص 26.

الثالث: القائلون بوحدة الوجود، فيعتقدون أن ما نراه ليس إلا تعيينات للذات الإلهية، ويتزعمهم ابن عربي، ومن كلامه:

العبد رب والرب عبد يا لي شعر من مكلف

إن قلت عبد فذاك حق أو قلت ربي أن يكلف.[1]

-**التصوف الطرقي**: لقد تطوّر التصوف في القرن السادس والسابع للهجري[2]، حتى ظهر ما يسمّى بالطريق الصوفية، أي السيرة المختصة بالسالكين إلى الله من قطع منازل في الاحوال والمقامات[3]، فأصبحت لكل طريقة شيخا يقتدى به، فالمريد بلا أستاذ يأخذ عنه الطريق فهو عابد لهواه[4]، فأصبحت مجموعة من الوصايا الخاصة التي يلتزم بها المريد، قال ابن عاشر:

يصحب شيخا عارف المسالك يقه في طريقه المهالك

يذكره الله إذا نساه ويوصل العبد إلى مولاه [5].

قال تعالى" وأن لّو استقاموا على الطّريقة لأسقيناهم ماء غدقا"[6]، وقال سبحانه"وإنّا منّا الصّالحون ومنّا دون ذلك كنّا طرائق قددا"[7]، فشيخ الطّريقة يدعوا ما فيه الخير والصّلاح، وعلى بصيرة، حتى يتحقّق

---

[1]- بن عربي: المصدر السابق، السفر14، ص595 .

[2]-انظر: صلاح الدين مؤيد، **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها**، دار البراق، لبنان،2002م، ص132.

[3]- الجرجاني، المصدر نفسه، ص119 .

الأحوال: المراقبة – القرب – المحبة- الخوف- الرجاء- الأنس- الطمأنينة- المشاهدة- اليقين. انظر الغزالي: المصدر السابق، ص 121- 250. فريد الدين العطار: المرجع السابق، ص57 .

= المقامات: التوبة – الورع – الزهد – الفقر- الصبر- التوكل- الرضا. الغزالي: المصدر السابق، ص 222.52. فيصل بدير عون: المرجع السابق، ص 102-125.

[4]- القشيري: المصدر نفسه، ص 394.

[5] عبد الواحد بن عاشر: **متن بن عاشر في مذهب مالك**، مطبعة الثعالبية، الجزائر، 1243م، ص 29.

[6]- الجن/ 16.

[7]- الجن/ 11.

المراد، فقد انتقلت من المشرق الإسلامي[1]، فتعدّدت المسالك منها: الطريقة السّقطية: نسبة للسري سقطي(251هـ/865م)، الطريقة البسطامية، نسبة لأبي يزيد طيفوري البسطامي(ت261هـ/875م)، والطريقة الخرّازية، نسبة إلى أبي سعيد الخراز(ت279هـ/892م)، والجنيدية، نسبة لأبي القاسم الجنيدي(ت297هـ/909م)، إلّا أن هذه الطرق لم تكن مهيكلة ومنظمة كالّطرق القرن السادس والسابع، كالطريقة القادرية: المنسوبة للشيخ عبد القادر الجيلاني الحسني رضي الله عنه (561/1165م)[2].والطّريقة الرّفاعية، المنسوبة للشّيخ أحمد بن علي الرّفاعي الحسيني(ت 578هـ/1182م)،وغيرهم[3]،

وقد اهتمّت هذه الطّرق بالتّمسك بالسنّة والعمل بها أمرا ونهيا وبالمجاهدة، قال تعالى" والذين جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا"[4]، فالتزموا الجهاد ومخالفة النّفس، قال البوصيري:

وخالف النّفس والشيطان واعصهما وإن هما محضاك النصح فاتّهم

ولا تطع منهما خصما ولا حكما فأنت تعرف كيد الخصم والحكم

أستغفر الله من قول بلا عمل لقد نسبت به نسلا لذي عقم[5].

وهنا نعني المتّصوفة الطرقية الذين إلتزموا بالإسلام نهجا وسلوكا، وتربية الروح بالعمل على تزكية النفس وتطهير القلب وإصلاحه من مختلف الأمراض والعلل ومقاومة الهوى.

---

[1]- مانع بن حماد الجهني: **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، دار الندوة العالمية، الرياض ط4، 1420هـ، مج4، ص 259,

[2] - صلاح مؤيد العقبي: المرجع السابق، ص132 .

[3]- ا مانع حماد الجهني: المرجع السابق، ص260. انظر، عامر النجار، المرجع السابق، ص 74. 102-167. عبد الله بن دجين السهلي: **الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وأثارها**، دار كنوز إشبيليا، الرياض، ط1،2005م، ص 5.صلاح مؤيد العقبي: المرجع السابق، ص 143.

[4]- العنكبوت/69.

[5]- محمد سعيد البوصيري: **ديوان البوصيري**، دار المعرفة، بيروت،2007م، ص229.

المبحث الثاني: الجغرافية وعوامل بروز الحركة الصّوفية في المغرب الأوسط

لقد كان المغرب الأوسط مسرحا للعديد من الاحداث، خاصة خلال الفتوحات الإسلامية ويعتبر التصوّف إحدى الظواهر الطارئة عليها، وذلك لعدة عوامل سياسية، اقتصادية، اجتماعية، ثقافية وبالأخص في فترة العهد الزّياني التي شهدت العديد من الأحداث مع جيرانها.

المطلب الأول: الحدود الجغرافيا للدولة الزيانية.

تعتبر جغرافية المغرب الاوسط جزء من خارطة المغرب الإسلامي الواقعة من برقة شرقا إلى ساحل محيط الأطلسي غربا[1]، أصبحت بعد ذلك تطلق على الأقاليم الواقعة غرب مصر، فالأوروبيون يعتبرونها منطقة الأكثر أهمية وتميزا مقارنة بجيرانها، بحيث تجسد فيها البلاد الافريقية الحقيقية[2]، خاصة خلال الفترة الزيانية.

ويجد الباحث معضلة كبيرة في تحديد حيزها الجغرافي للمغرب الاوسط، وذلك للأحدث التي تميزت بها تلك الفترة من التقلبات السياسية والمواجهات العسكرية، والمد والجزر، وللصراعات التي شهدتها مع جيرانها وهو ما نتج عنه عدم استقرار على وضع معين بالإضافة إلى حركة القبائل البربرية والعربيةالدائمة[3].فقد اختلف المؤرخون والجغرافيون في تحديد الحيز الجغرافي للمغرب الأوسط، خلدون يحدد الأطار الجغرافي للمغرب الأوسط من نهرملويةغربا، إلى وادي الشلف والزاب شرقا، ومن ساحل شرشال ووهران شمالا إلى إقليم تيهرت جنوبا، بلاد الصناهجة[4]،كما يعتبر إقليم بجاية وقسنطينة موطن للكتاميين، وما وراء قسنطينة حدود لإفريقية إلى غاية طرابلس،ويرى صاحب الاستبصار أن نهر ملوية[5] وجبال تازة هو الحد الغربي الفاصل بين المغرب الأوسط والأقصى "...ذكرنا أن أخر بلاد المغرب

---

[1] – مجهول: **مفاخر البربر**، تحقيق، عبد القادر بوباية، دار ابي رقراق، الرباط، 2005، ص185.

[2]– جيلالي صادي: **تلمسان الزيانية**، ترجمة، مسعود الحاج مسعود، دار القصبة، الجزائر، 2011، ص 21.

[3] – طاهر بونابي: المرجع السابق، ص46 .

[4]– عبد الرحمان بن خلدون: العبر، المصدر السابق، ص 4-203.

[5] – مجهول: **الاستبصار في عجائب الامصار**، تعليق سعد زغلول، الإسكندرية، مطبعة الجامعة، 1958م، ص 186. انظر خالد بلعربي: **الدولة الزيانية في عهد يغمراسن دراسة تاريخية حضارية 633هـ،681 هـ/1235م،1282م**، دار الالمعية، الجزائر، 2011م، ص 186.

الأوسط، وأول بلاد المغرب، بلاد تازا وهي جبال عظيمة..."[1]، ويذكر لنا صاحب المعجب"... ونهر اخر فيما بين تلمسان ورباط تازا، يدعى وادي ملوية."[2]، بينما نجد الجهة الشرقية لم تعرف حدودا ثابتة من الفتح إلى أخر عهد الموحدين[3]، وظهوربني حفص[4]وبني عبد الواد[5] وبني مرين[6]، فقد عرفت حدود الدولة الزيانية –والتي هيا محل دراسة–اتساعا أحيانا وتقلصا أحيانا أخرى، وذلك رجع للقوة العسكرية والسياسية وحتى الإقتصادية، بالإضافة الى دهاء ووعي حكامهم وتربط علاقات مجتمعها فيما بينهم، فعرفت الحدود الشرقية المقابلة للحفصيين توسعا من حين لأخر كلما أتيحت لهم الفرصة خاصة في عهد يغمراسن وأبي حمو الأول وابنه تاشفين الأول فسيطروا خلالها على عدة مدن حفصية،بجاية وقسنطينة وعنابة بينما كانت الدولة تشهد صراعا وهجوما من كلا الجارتين كلما أتيحت لهما الفرصة، وهو جعل تتقلص وتتمدد بحسب قوتها وضعفها[7]، فقد بلغت حدودها "...بجاية والزاب من الشرق، ومن نهر ملوية وتاوريرت ووجدة...وفجيج من الغرب والجنوب الغربي، ومن مصب نهر ملوية وهنين ودلس وحصن "بكر" ...ودي الصومام على الساحل البحر المتوسط شمالا، إلى ورجلان وغرداية وإقليم توات جنوبا..."[8] وهي الحدود التي سيطرت عليها الدولة الزيانية في اغلب فتراتها رغم الحصار والهجمات الكاسحة من كلا الجارتين.

---

[1]– مجهول: المصدر نفسه، ص186.

[2]– أبي محمد عبد الواحد بن علي المراكشي: **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، شرحه صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2006، ص262 .

[3]– محمد المنوني: **حضارة الموحدين**، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 1989م، ص12.

[4]– نسبة لابي حفص عمر الهنتاتي والمؤسس الحقيقي هو ابوا بكر الحفصي، انظر أبوا العباس أحمد بن حسين بن علي الخطيب ابن قنفذ القسنطيني: **الفارسية في مبادي الدولة الحفصية**، تحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر. تونس، 1968م. ص 108. ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص197.

[5] – محمد بن عبد الله التنسي: **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان** ، تحقيق محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985، ص 5.

[6]– من قبيلة زناتة نسبة لمرين بن ورتاجن، انظر مفاخر البربر، ص 41.

[7] – فيلالي: **تلمسان في العهد الزياني**، موفم للنشر، الجزائر، 2002م،ج1، ص 44.

[8] – فيلالي: المرجع نفسه، ج1، ص45.

- **المطلب الثاني: عوامل إنتشار التصوف في المغرب الأوسط.**

لقد برز التصوف في المغرب الأوسط منذ القرن الثاني للهجري، وذلك ناتج عن عوامل أهمها:

الكتب الصوفية والرحلات: منذ القرن الثاني للهجري، ونظرا للتواصل الفكري بين المشرق والمغرب والوحدة العقائدية، بات التلاقح بينهما بديهيا، ذلك نظرا لانتقال المغاربة إلى المشرق إمّا من أجل التجارة، وكانت لهم فرصة لاصطحاب أبناءهم، لينهلوا من علوم المشرق[1]، والرّحلات التجارية التي قام بها العلماء الذين قصدوا مكّة المكرّمة لأداء فريضة الحج والتجارة[2]، فأخذوا العلم من علمائها وكذلك من العراق التي انتقلوا لها بعد أداء المناسك[3]، بالإضافة لمصنفات الكتب المشرقية، إلى المغرب والاندلس وأهمها "كتاب الرعاية" للحارث بن أسد المحاسبي(ت254هـ)، و"الرسالة القشيرية" لابي القاسم القشيري(ت 465هـ)، و"إحياء علوم الدين" لأبي حامد الغزالي (ت505 هـ)[4]، والكتب الاشراقية" كتاب الإشارات والتنبيهات" لأبن سينا (ت370هـ)، التي ساهمت في انتشار التّصوف وإقبال النّاس إليه، خاصّة بعد حرق كتاب الإحياء للإمام الغزالي[5]، بالإضافة الى الكتب متصوّفة المغرب الأقصى[6]، ورغم ذلك نجد من بين اهم العوامل التي ساهمت في انتشار التصوف في العهد الزياني، يتمثل في التأثير الأندلسي، وبالأخص أفكار عبد الله بن مسرة القرطبي.[7]

---

[1]- أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي الحافظ ابن الفرضي (ت 403هـ): **تاريخ علماء الأندلس**، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966م، ص 217م.

[2] الطاهر مختار فيلالي: **نشأة المرابطين والطرق الصوفية، وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني**، دار الفن الفرافيني، باتنة، د ت، ص1.

[3]- ابن الفرضي: المصدر السابق، ج2، ص27.

[4]- الفرد بل: المرجع السّابق، ص 376. الطاهر فيلالي مختار، المرجع السابق، ص17.

[5]- محمد فتحة: **النوازل الفقهية والمجتمع: أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي (من القرن 6 إلى 9هـ/ 12، 15م)**، دار الايمان، الرباط، 1999، ص159 .

[6]- الفرد بال: المرجع نفسه، ص382. انظر محمد المنوني: المرجع السابق، ص 49.

[7] - عبيد بوداود: **ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (ق 13. 15م)**، دار الغرب الإسلامي، وهران، 2003،ص 48. أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن التّاسع الهجري، عالم المعرفة، الجزائر، 2015م، ج1، ص 375.

العامل السياسة والأمنية: وتمثلت في عدم الاستقرار السياسي في منطقة المغرب الإسلامي عموما، خاصة بالنّسبة للدّولة الزّيانية، التي شهدت حصارا وتخريبا من كلا الجارتين[1]،والتي أصبحت جزءا من حياتهم اليومية، مما جعل السكان يتضرعون الى الله ويلتفون حول الصالحين والأولياء، وكان خطاب الصوفي المتنفس الوحيد[2].وقبل ذلك السياسة التومرتية، التي أدرجت التصوف ضمن برنامجها-عكس الموقف المعادي للتصوف من طرف المرابطين- نظرا لإدعاء محمد بن تومرت التقائه الشيخ الغزالي والدعاء له، وتقرب امراء الموحدين من المتصوفة[3]، وعمل خلفاؤها على الاعتناء بهم.

العامل الاقتصادي والاجتماعي: لا شكّ أنّ العامل الأساسي لتدهور الاقتصادي يتمثل في غياب الامن والاضطرابات السياسية، التي نتج عنها قنوات المياه ونسف الزروع وحرقها، ومنها ما نتج عن الحصار المريني لتلمسان التي جعلت أهلها يأكل الجيف والقطط والفئران، وأشلاء الموتى، وغلت أسعار الاقوات والحبوب وسائر المرافق[4]، واستيلاء الأراضي الزراعية من طرف النّافذين في الدّولة، والضّرائب المبالغ فيها، وبروز الآفات الإجتماعية، كالخمر والزنى والقمار والدعارة، واختلاط الرجال بالنساء في الأماكن العامة، وانتشار الحفلات والاعراس التي يكثر فيها الاختلاط، بالإضافة لحالة التّرف والبذخ التي سادة المجتمع المرابطي والنفوذ الفقهاء وانحلال اخلاقهم[5].

دور الشيخ أبي مدين[6]: فقد لعب الشّيخ دورا مهما في توجيه التصوف ببلاد المغرب الإسلامي عموما، حيث كان سببا في إنتشار أغلب مدارس الصوفية، ومن خلال نشاطه التربوي التعليمي، بعد تعلمه على

---

[1]- ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج7، ص125.

[2]- عبيد بوداود: المرجع السابق، ص159 .

[3]- محمد فتحة: المرجع السابق، ص160 .

[4]- ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج 7، ص128.

[5] - الفرد بل: المرجع السابق، ص378 .

[6] - هو شعيب بن الحسن، أصله من الأندلس من حصن يقال له منتوجب قرب إشبيلية، أقام بفاس وسكن بجاية، فكثر أتباعه، أخذ العلم على العديد من المشائخ منهم: الحسن علي بن حرزهم والشّيخ أبي يعزى أنظر أحمد بن أحمد بن عبد الله أبو العباس الغبريني (ت 644هـ): **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق عادل نويهض، دار الافاق الجديدة، بيروت، 1979م، ص 22-39.

مشايخ المغرب الأقصى[1].

فجمع في شخصه تعاليم ثلاثة طرق صوفية: الجيلانية، أبي يعزى، وطريقة ابن حرزهم، والتي هي فرع من تعاليم الجنيدي ومدرسة بغداد[2].

حركة الزّهد: والتي تعني " ترك راحة الدنيا طلبا لراحة الأخرة"[3]، أي أنّها لمبنية على ترك الحياة الدنياوية[4]، انتشرت في المغرب الأوسط خلال القرن 2هـ للهجرة، مع الزاهد وهب بن منية أحد التابعين، ثم الزاهد بكر بن حماد بن سمك بن إسماعيل الزناتي (ت 295هـ/898م) الذي تعلم على يد سحنون بن حبيب التنوخي (ت240هـ/843م) بالقيروان خلال إقامته هناك، ثم أخذت الظاهرة في الانتشار في القرون المتوالية،بالإضافة الى الرباطات التي كان لها دور مهم رغم قلتها[5].فكل هذه العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ودور الشيخ أبي مدين شعيب وغيرها، تمخض عنها تيارات صوفية مختلفة، ناتجة عن السّلوكات اليومية حسب رجالات التصوّف وزهدهم[6]، ومنها المتعلق بالنّظريات الصّوفية الفلسفية المشرقية، والاندلسية،[7].

---

[1]- أبي يعقوب يوسف بن يحي التادلي (ت617هـ): **التشوف الى رجال التصوف وأخبار العباس السبتي**، تحقيق أحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط2، 1997م، ص 320.

39.جيلالي صادي: المرجع السابق، ص 136.

[3]- الجرجاني: المصدر السابق، ص 99.

[4] - Eric geoffroy ، ibid ،p27.

[5]- انظر طاهر بونابي: المرجع السابق، ص47 -60.

[6] - Denis gril :ibid ،p73.

[7]- انظر الطاهر بونابي: **التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7الهجريين/12و 13الميلاديين**، دار الهدى، عين مليلة، 2004م، ص 103-159.

الفصل الأول: دور المتصوّفة في الأوضاع السياسية والحياة الاجتماعية.

- **المبحث الأول: دور المتصوفة في الأوضاع السياسية.**
  - ✓ **المطلب الأول: علاقة المتصوفة بالسلاطين.**
  - ✓ **المطلب الثاني: مكانة المتصوفة لدى السلاطين.**
  - ✓ **المطلب الثالث: دور المتصوفة في الأزمات.**
- **المبحث الثاني: دور المتصوفة في الحياة الاجتماعية**
  - ✓ **المطلب الأول: إسهامات المتصوفة في التكافل والإصلاح الاجتماعي.**
  - ✓ **المطلب الثاني: الأسر المتصوفة.**
  - ✓ **المطلب الثالث: النساء المتصوفات.**

▪ المبحث الأول دور المتصوف في الأوضاع السياسية.

عرف العصر الزّياني إنتشار ظاهرة التصوف بين مختلف الشرائح وطبقات الشعب، وذلك لذيوع صيتهم، وأفكارهم ومعتقداتهم وتقبلها من العام والخاص، وحتى بين الطبقة السّياسية، الذين إهتموا بالتصوّف ورجالاته وكانت لهم مكانة خاصة.

• المطلب الأول: علاقة المتصوفة بالسلاطين.

لقد تبوّأ المتصوفة مكانة محترمة طيلة ثلاثة قرون من العهد الزياني، خاصة خلال فترة حكم يغمراسن بن زيان(633. 681هـ/ 1236-1282)[1]، وإبنه أبي سعيد عثمان(681،703هـ/1282-1301م)، اللذان اهتما بالمتصوفة أيّما اهتمام، فاحترموهم وتبركوا بهم، وهو ما أشار اليه صاحب البستان في كثرة زيارة يغمراسن للولي الصالح محمد بن عيسى أبو عبد الله يقول"... الذي كان يزوره وهو في داره أمير المؤمنين أبو يحي يغمراسن ابن زيان إلى محله إلتماسا لدعائه..."[2]، كما اشتهر بأنّه دائم الإستقبال لهم في بلاطه، وهو ما يدل على الصّفات النبيلة مثل الحلم والوقار الذي عرف بها، فنجد أنّ أغلب المصادر التي تحدّث عن الدّولة الزيانية أسهبت في ذكر خصاله الحميدة ويقول يحي إبن خلدون عنه"... وكان كريما شجاعا فاضلا حليما متواضعا، ذا سؤدد وعفاف ونجد وعلاء يؤثر الصّالحين والعلماء، ويجالسهم كثيرا"[3]، ويذهب لزيارة لواضح أبي البيان[4]، في مسكنه خارج تلمسان بجبل أفرشان[5]، وكان يقضي حوائجهم ولا يردّهم، ممّا يدل على حب وشغف السّلاطين لهم.

---

[1] - التنسي: المصدر السّابق، ص115 ،

[2] – ابن مريم المليتي المديوني التلمساني: **البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان**، تحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العالمية، بيروت، 2014م، ص 395.

[3] – يحي بن خلدون: **بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد**، ج 2، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980م، ص 204.

[4] – ذكر بابا أحمد التنبكتي، إسمه بواضح بن عثمان بن محمد بن عيسى بن فركون المغراوي أبوا البيان الفقيه القاضي العدل الصّالح توفي سنّة 856هـ، أي أنّه غير الذي كان في فترة السلطان يغمراسن، بابا أحمد التنبكتي: **نيل الإبتهاج وتطريز الديباج** إشراف وتقديم عبد الحميد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الأسلامية، طرابلس، 1989م، ص 619..

[5] التنسي: المصدر السابق، ص 126

وما يبيّن حب وتقرب السّلاطين للمتصوّفة، وصية يغمراسن لأبنائه بأن يدفن أبو عبد الله بن مرزوق إلى جانبه[1]، كمافدفن بجانبه الآخر، أول صالح توفي من عائلة النّجارية، أبو الحسن بن النّجارية[2]، التي اشتهرت بالخير والصّلاح، فنفذ إبنه أبو سعيد عثمان الوصية، فدفنوا بالدويرة التي بالجامع الأعظم[3].

ومن ذلك إلحاح يغمراسن على إبراهيم بن يخلف التنسي[4] للرجوع إلى تلمسان[5]، وذلك لعلمه الغزير ولمكانته العلمية بين علماء المشرق والمغرب، قال عنه محمد العبدري البلنسي(ت 720هـ/1320م) ،" ألفيت الفقيه أبا إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي، وأخاه أبا الحسن مسافرين إلى المشرق، وهما من سكان تلمسان وليسا منها، فقيهان مشاركان في العلم مع مروءة تامة ودين متين، وأبو إسحاق أسنّهما وأسناهما، وهو ذو صلاح وخير".

وكان شيخنا زين الدين أبو الحسن بن المنير حفظه الله يثني عليه كثيرا، وسألني عن الغرب فذكرت له قلّة رغبة أهله في العلم، فقال: أمّا بلاد فيها مثل أبي إسحاق التنسي فما خلت من العلم "[6]، وكان يمتع لقدوم تلمسان والتدريس بها عدّة مرّات، وكان لا يقدم إليها إلا زائرا ثم ينصرف إلى تنس، فلم يستوطن بها إلا بعد أن جاءه مجموعة من الفقهاء والسلطان، فانتفع منه خلق كثير، كما منحت له ارضا زراعية، وتقلّد مناصب سامية "، كان من أولياء الله، وممّن جمع بين علمي الباطن والظاهر .."[7] واشتهر بالزهد والورع بالكرامات ومكانته العظيمة بين الملوك[8].

---

[1]– خالد بلعربي: المرجع السابق، ص332.

[2] – يحي ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص 122.

[3] – يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص118 . الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص204 .

[4] – إبراهيم بن يخلف بن عبد السّلام التنسي المطماطي: من العلماء الصّالحين والأولياء العاملين كانت له مكانة سامقة لدى الملوك، ألّف كتب كثيرة في العلم، وتبوّأ رياسة التدريس والفتوى في أقطاب المغرب كلّها. انظر يحي بن خلدون: المصدر السّابق، ص 38. التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 38.

[5]– أبو عبد الله بن محمد بن مرزوق التّلمساني(ت781هـ): **المناقب المرزوقية**، تحقيق سلوى الزّاهري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2008م، ص 273. نيل الابتهاج: المصدر السابق، ص38.

[6] – محمد العبدري التنسي: **رحلة المغربية**، تقديم سعيد بوقلالة، مطبعة المعارف، عنابة، 2007م، ص 30.

[7] – ابن مريم: المصدر السابق، ص159 .

[8] – الفرد بل: المرجع السابق، ص312 .

وعمل السلطان يغمراسن على بناء صومعتي جامع تاجرارت وأجادير، ورفض أن يكتب إسمه بهما، وهو ما يدل على زهده وتخليه عن الدنيا وعدم بحثه للمجد، قال يحي بن خلدون في كتابه بغية الروّاد".... وأثناء هذا كان بناؤه الصومعتين بالجامع الأعظمين من تاجرارت وأجادير، ولقد أستؤذن في كتب اسمه بهما فقال بالزيانية " يسنت ربي"[1]، أي عرفه الله، علو همة وحسن ظن بالخالق، واعراضا عن التفاخر الدنياوية.

وحذا أبو سعيد عثمان(681-703هـ/1282-1301م)[2]، حَذوَ أبيه بعد أن خلفه على الحكم، من اقتراب واحترام المتصوّفة، فيذكر لنا صاحب البستان، أن عثمان كان يحب الولي الصّالح محمّد بن محمّد الإدريسي حبّا عظيما، ولا يخاطبه إلا بكلمة سيدي[3]، للعلاقة الوطيدة التي كانت تجمعه به، كما بنى السلطان أبو سعيد، ضريح على قبر الزّاهد الصوفي أبي إسحاق الطيّار المتوفى سنة(700هـ/ 1298)، المدفون نواحي قرية العبّاد على بعد 200متر[4].

ومن ذلك زهد أبو يعقوب والد السلطان أبي حمّو موسى الثاني في عيشة الملوك واعتكف لقصبة ندرومة[5]، مقتصرا على العبادة والعمل النافع، ونفس الشيء لولده السّلطان أبي حمّو موسى الثّاني (760- 791 هـ/ 1358-1389م)، الذي كان يحترم الولي أبو عبد الله شريف(ت771هـ/ 1369م)[6]، فكان يدرّس في الزّاوية التي أُنشئت للتّعليم، وكان السّلطان يحضر مجالسه، ويجلس على الحصيرة إحترما وإكراما له[7]، وحينما توفي دفن بالزاوية مع أبيه أبو يعقوب، وعمّيه أبي سعيد وأبي

---

[1] – يحي بن خلدون: المصدر السابق، ص 207، الفرد بل: المرجع نفسه، ص313.

[2]– يحي بن خلدون: المصدر السابق، ص208. التنسي المصدر السابق: ص 129.

[3] – ابن مريم: المصدر السابق، ص328.

[4] – ألفرد بل: المرجع السابق، ص313.

[5] – ندرومة: مدينة أسسها الرومان حينما كانوا يحكمون المنطقة، وبنوها على بقعة واسعة في سهل، بعيدة عن الجبل بنحو ميلين، واثنتي عشر ميلا عن البحر المتوسط، انظرالحسن الوزان: **وصف إفريقيا**، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983، ج2، ص 13.

[6] – هو عبد الله بن محمد بن أحمد الشريف الحسني التلمساني، من أكابر علماء المسان ومحقّقيهم ولدة سنة 748هـ وتوفي سنة792هـ للمزيد من المعلومات أنظر بن مريم: المصدر السابق، ص239 .

[7] – يحي بن خلدون: المصدر السابق، ص 235.

ثابت[1]. حتى أنّ بعض السلاطين من كثرة تعلّقهم واهتمامهم بالمتّصوفة، ألّفوا فيه كتب، مثل السّلطان محمّد أبي زيان محمد بن أبي حمو(796- 801هـ/ 1393-1398م)، الذي ألّف كتابا نحا فيه منحى التصوف سمّاه "كتاب الإشارة في حكم العقل بين النفس المطمئنّة والنفس الأمارة"[2]، وكان يحتفل بمولد الرّسول صلى الله عليه وسلم، متّبعا خُطى أسلافه.

ونفس الشّيئ للسّلاطين الذين تقلدوا مناصب الحكم فيما بعد، فكانوا يقدّرون ويكنُّون مكانة خاصة للمتّصوفة، مثل أحمد العاقل (834-865هـ/1431-1462م)، الذي كان يقرّب إليه الولي أبا علي الحسن بن مخلوف (ت857هـ/ 1454م)، يقول التنسي في كتابه تاريخ ملوك بني زيان:"...وكانت له عناية بالولي الزّاهد، القطب الغوث، شيخ الزّهاد وقدوة العباد، أبو الحسن مخلوف، فكان يكثر من زيارته، ويقتبس من إشارته ومدار أكثر أموره عليه وبني بزاويته المدرسة الجديدة، وأوقف عليها أوقافا جليلة..."[3]،ما يبين العلاقة الوطيدة والمحترمة بين السّلاطين والمتصوفة.

وبوفاة أبي يعقوب الذي دفن قرب باب إيلان وأقيمت زاوية أمام قبره، التي نقلت إليها رفات بعض السلاطين[4]. حتى أن بعضهم ا بنوا المساجد، والزّاويا، والمدارس من شدة إحترامهم لهم.

مثال ذلك: المدرسة اليعقوبية، التي اشتهرت بنسبتها إلى السلطان أبي تاشفين الأول(718هـ-737هـ/ 1318- 1337م)، والمدرسة اليعقوبية: أنشأها السلطان أبو حمو موسى الثاني حيث ضريح أبيه أبي يعقوب يوسف، وشيّد إلى جانبها مسجد، التي كانت غالبا ما تلحق بالمدارس، ومدرسة سيدي لحسن، التي بناها أبو العباس أحمد المعروف بالعاقل، ومسجد السنوسي، والتي بناها السلاطين المرينيين

[1] – يحي بن خلدون: المصدر نفسه، ص241 . فيلالي: المرجع السابق، ص 322.

[2] – التنسي: المصدر السابق، ص211. فيلالي: المرجع السابق، ج2، ص323.

[3] – التنسي: المصدر السابق، ص248.

[4] – محمد فتحة: المرجع نفسه، ص187 .

تمثلت في مدرسة العباد، التي شيدها أبو الحسن المريني سنة 747هـ/ 1346م، بالإضافة إلى المسجد العباد الذي أصبح من بين المؤسسات العلمية ومدرسة سيدي الحلوي[1].

المطلب الثاني: مكانة المتصوفة لدى السلاطين.

كان لمتصوفة الفترة الزيانية مكانة خاصة عند معظم سلاطينها، وهو ما جعل المتصوفة يتبوّؤون مكانة سامقة، فيذكر لنا صاحب بغية الرّواد، كثرة تردد العارف بالله أبا إسحاق الخياط، الذي عُرف بالصّلاح وإمتهانه مهنة الخياطة، على السلطان يغمراسن، لحل مشاكل الرعية، والسلطان يلبي طلباته دون أن يرده، وقيل كان يقدم اليه في اليوم أكثر من أربعين مرة، والسلطان يطلب من حاشيته أن بأن يتركوه[2]، وأبو جمعة[3] المطغري[4]، وعبد الله الحوتي[5] المغراوي[6]، الذي خلص السلطان أبو عبد الله الثابتي[7] من الكبر والترفع عن الرعية، الذين كانوا يفرشون له الملاحف للمشي عليها حين دخوله المسجد،"...فوجد الشّيخ في الجامع، فقال للسلطان تكبرت، تمشي على الملاحف، فقال له السلطان: أنا تائب لله، فقال له الشيخ: من تاب تاب الله عليه، فحين تاب السّلطان قال له الشّيخ: إذهب تتوضأ، فأتى البئر، فوجد

---

[1] – للتوسع أكثر أنظر: فيلالي: المرجع السابق، ص141-149. الحاج محمد بن رمضان شاوش: **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ج1، ص 95. حساني مختار: **الأحوال الثقافية في الدولة الزيانية**، ضمن كتاب محاضرات الموسم الثقافي 98-99، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 1999م، ص 154-156.

[2] – يحي بن خلدون: المصدر السابق، ص 118. الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص 203.خالد بلعربي: المرجع السابق، ص 332.

[3] –أبو جمعة الكواشي، من أكابر الأولياء العاملين، الصّالحين، العابدين، النّاصحين ابن مريم: المصدر السابق، ص 167.

[4] – مطغرة: جبال وعرة يسكنها قبيلة زناتة. انظر الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 43. مارمول كربخال: **إفريقيا**، ترجمة محمد حاجي واخرون، دار نشر المعرفة، الرباط، 1989، ج2، ص287.

[5] – هو عبد الله بن منصور الحوتي بن يحي ابن عثمان المغراوي، الولي الصّالح صاحب الكرامات كثيرة، والأخلاق الحميدة، ابن مريم: المصدر السّابق، ص 266.

[6] – المغراوي: نسبة لجبل ممتد على طول أربعة عشر فرسخا على الساحل به مدينتا مزغران ومستغانم، الحسن الوزان: المصدر نفسه، ج2، ص44. مارمول كربخال: المرجع نفسه، ص 353.

[7] – أبوا عبد الله الثابتي: هو أبو عبد الله محمد الرابع الثابتي (873-910 هـ) بسط نفوذه على معظم أقاليم المغرب الأوسط، انظر فيلالي: المرجع السابق، ص 74-75.

الماء يخرج، فتوضأ..."[1]. وكثيرا ما كان السّلاطين يحضرون جنازتهم ويمشون خلفها، كجنازة الولي إبراهيم بن محمد المصمودي التلمساني (ت 805هـ/ 1403م)[2]، التي حضرها السّلطان أبي عبد الله محمّد (804-813هـ/1402-1411م)[3]، والذي دفن بروضة آل زيان من ملوك تلمسان، والمقّري التّلمساني (ت842 هـ/ 1439م)، الذي حضر جنازته السّلطان أبي العبّاس أحمد بن زيان (834-866هـ/1431-1463م)[4]، الذي كان يحضر مجالس العلماء ويستمع لدروسهم ويزورهم، وجنازة الشيخ قاسم العقباني[5]، يقول في ذلك القلصادي[6]، الذي قدم تلمسان في أزهى أيّام حياتها الثقافية، فأخذ عن أشهر أعلامها منهم العقباني، "توفي رضي الله عنه، في شهر ذي القعدة من عام أربعة وخمسين وثمانمائة= ديسمبر 1450م أو أوائل جانفي 1451م وصُلّي عليه بالجامع الأعظم، ودفن بغربية بالروضة هناك قرب الشيخ سيدي أبي عبد الله محمد بن مرزوق، و كانت جنازته عظيمة حضرها السلطان فمن دونه"[7]، ونفس الأمر للولي العارف بالله ابن مرزوق الحفيد (ت 842هـ/ 1429م)[8]، الذي تتلمذ عليه القلصادي وأخذ عليه العديد من العلوم، رغم أنّه لم يخبر عن نوعيتها، فيقول في جنازة ابن مرزوق التي حضرها السلطان، "...وصُلي عليه بالجامع الأعظم بعد صلاة الجمعة، ودفن

---

[1] – ابن مريم: المصدر السابق، ص271.

[2] – هو إبراهيم بن موسى المصمودي الشيخ الصّالح الولي، الزّاهد أبو إسحاق عرف بالعلم والتصوف، إبن مريم: المصدر السابق، ص157.

[3] – التنسي: المصدر السابق، ص 230.

[4] – التنسي: المصدر نفسه، ص 249. فيلالي: المرجع السابق، ص324.

[5] – هو أبو الفضل قاسم العقباني إبن أبي عثمان، تتلمذ على يد أبيه وعدد من العلماء وحصّل العلوم حتّى بلغ درجة الإجتهاد توفي سنة854 هـ، انظر التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 365.

[6] – هو علي بن محمد بن علي القرشي البسطي أبو الحسن ولد بمدينة الأندلس815 هـ وتوفي سنّة 891 هـ، له رحلة علمية للمشرق والمغرب، أبو الحسن علي القلصادي الأندلسي (ت 891): **رحلة القلصادي**، تحقيق محمد أبي الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978، ص 32.

[7] – القلصادي: المصدر نفسه، ص107.

[8] – محمد بن احمد بن محمد أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي التّلمساني، ولد سنة (766هـ/ 1364م) وتوفي سنة (843هـ/ 1438م)، جمع بين العلوم العقلية والنّقلية. القلصادي: المصدر نفسه، ص96

بالروضة المعروفة هناك بغربي المسجد وكانت له جنازة عظيمة، حضرها السّلطان فمن دونه فمن دونه، لم أرى مثلها فيما قبل، جمعنا الله وأيّاه في دار كرامته..." [1].

والشيخ الحسن أبركان الذي تقدّم ذكره، فكان مقصدا للسّلاطين لإلتماس البركة منه، "...وصحنا عليه مرارا، فأبى أن يخرج إلينا، فلمّا أكثرنا عليه خرج، وفتح شيئا من الباب وأخرج إلينا يده ولم يُرنا وجهه فتبركنا به وطلعنا ...."[2].

- **المطلب الثالث: دور المتصوّفة في الأزمات.**

كان للمتصوّفة دور مهم في الصّراعات والحروب المستمرة على الدّولة الزيانية من كلا الجارتين، فعملوا – المتصوّفة– على نشر السّلام وتوقيف الصّراعات والمعارك ، من ذاك ردّهم حملة السّلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز[3] التي كانت سنة827هـ/ 1433، خاصة بعد رؤيتهم لحجم الحصار وتأثيره على السكان[4]، ويرجع سبب ذلك لإستغلال السلطان الحفصي ما سمع من سوء سيرة السلطان الزياني أبو محمد بن عبد الواحد بن حموا من انتهاك الحرمات، وظلمه لرعيته، فقام السّلطان الحفصي بنهيه عن ذلك فلم ينته، ما جعله يدخل تلمسان عنوة، فهرب ابن حمّو ملتجأ للجبال، فترك أبو فارس في المدينة محمد بن تاشفين بن أبي حمو(ت 840هـ/ 1436م)، إبن أخ سلطان الفار، الذي تعهّد باستمرار التّبعية للدّولة الحفصية، إلّا أنّه انشق عنهم بعد ذلك، فأظهر العصيان والاستبداد في تلمسان، فكانت الحادثة سببا في بداية المعركة بين الطرفين، فقتل إبن تاشفين عمّه أبو محمد بن عبد الواحد بعدما اعتذر

[1] – القلصادي: المصدر نفسه، ص98 .

[2] – ابن مريم: المصدر السابق، ص175 ،191 .

[3] – هو أبو فارس عبد العزيز بن أحمد بن محمد ابن أبي يحي زكرياء (796-837هـ/ 1394-1434م)، انظر ابن الشمّاع أبو عبد الله محمد بن أحمد: **الأدلّة البينة النورانية في مفاخر الدّولة الحفصية**، تحقيق وتقديم الطّاهر بن محمد معموري، الدّار العربية للكتاب، 1984م، ص 112-119. ابو العبّاس احمد بن الحسين بن علي بن الخطيب ابن قنفذ القسنطيني: **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تقديم وتحقيق، محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدّار التونسية للنشر، تونس، ص 189-199.

[4] – أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المعروف بالزركشي: **تاريخ الدّولتين الموحدية والحفصية**، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م.ص 125-126. التنسي: المصدر السّابق، ص 244-245.

للسلطان الحفصي ومكث معه في تونس، وهو ما جعل السلطان يفرض حصارا شديدا على مدينة تلمسان.

والولي الصّالح عبد الله الحوتي الذي تعرّض للسّلطان الحفصي ورافضا لهجومه على المنطقة قائلا له"...قال للسلطان، ظالم لا يحل السلام عليك، اش تسال لهذا الناس؟، تخرب بلاد المسلمين ..."[1]، ورفض المتصوفة هجوم أبي يعقوب بن يوسف المريني (686- 706هـ)، هجومه على الدولة الزيانية، وحصاره الطويل (698-700هـ)[2]، مما كلّفهم السّجن والتّنكيل، منهم أبو عبد الله محمد الغرموني وأبو العباس بن الخياط[3].ورغم ذلك، لا شك أن مكانة المتصوفة لدى المجتمع الزياني، وقوّتهم الفعّالة المؤثرة في المجتمع، الناتجة عن تعايشهم ودخولهم في شبكة العلاقات الاجتماعية وذوبانهم فيها[4]، جعلت السلاطين يتعاملون معهم بحذر شديد، وعملوا على استثمار هذه العلاقة واستغلالها لخدمة مصالحهم، أي أسلوب التعايش المصلحي، مثلما عمل أبو تاشفين الأول[5]، الذي استغلهم لأغراض سياسية، وذلك باتصاله بالذين كانوا يتمركزون في نواحي الزاب (بسكرة)، لحثهم على محاربة الدولة الحفصية[6]، والمهام التي كان الشيخ أبو عبد الله شريف يُكلّف بها من السلطان أبو حمو الثاني سفيرا إلى المغرب الأقصى والمغرب الأدنى، وقال عنه بعد وفاته لإبنه "...لأنني أُباهي به الملوك ...

[1] – ابن مريم: المصدر السابق، ص268-269.

[2] – يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج 1، ص 209. الحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ج1، ص 72.

[3] – الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص 205 .

[4] – محاضرات الأستاذ طاهر بن علي.

[5] – أبو تاشفين عبد الرحمان الأوّل عرفت الدولة الزيانية ازهار كبير خلال فترة حكمه، كان فنّانا حاذقا مولعا باللهو والتمتع بالحياة توفي سنة 737هـ/ 1337م، التنسي: المصدر السابق، ص139 . شاوش: المرجع السابق، ج1، 78.

[6] – مختار حساني: تاريخ الدولة الزيانية، الأحوال الاجتماعية، دار الحضارة، الجزائر، 2007م، ج3، ص 97.

▪ المبحث الثاني: دور المتصوفة في الحياة الاجتماعية.

لعب المتصوفة أدوارا كبيرة في الحياة الاجتماعية وهذا راجع بالدرجة الأولى إلى حياة الزهد والتقشف[1]، بتزكية النفس من خلال التخلي عن الدنيا وترك ملذاتها وكيدها، والتحلي بمكارم الأخلاق، والعكوف للعبادة للمولى عزَّ وجل، وهو ما انعكس وكان له تأثير إيجابي على المجتمع الدولة الزيانية، وهو ما يبين مكانتهم بين شرائح المجتمع.

• المطلب الأول: إسهامات المتصوفة في التكافل والإصلاح الاجتماعي.

لقد ساهم متصوفة المغرب الأوسط رغم اختلاف توجهاتهم في مواجهة الازمات الإجتماعية، التي أبتلي بها المجتمع من فقر وجفاف ومجاعة وكوارث طبيعية، ويبرز ذلك من كثرة تردد أبي إسحاق الخياط على السلطان يغمراسن بن زيّان، في حل مشاكل المجتمع، ما يدل على اهتمام وتضامن المتصوفة مع المجتمع وسعيهم لقضاء حوائجهم والمعاناة الإجتماعية التي كانوا يتخبطون فيها، وكذا أبوعبد الله الشوذي الإشبيلي المعروف بالحلوي، الذي عرف بكرامات كثيرة ومشهورة، فكان يبيع الحلوى للصّبيان، ويشتري من ذلك المال خبزا وشعيرا ويتصدق به ليتيم بعد معرفته بحاجته[2].

و أبو عبد الله بن البلد، المعروف بالصّلاح، ومن كبار الأولياء المتقشفين، أنّه كان يتصدق بما ينسخه من كتب[3]، كما كان أبو عبد الله عمر الحبّاك ينقل الزّبالة من البيوت مقابل كسرة خبز التي لا يتوانى في توزيعها على الفقراء[4]، و أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أبن مرزوق(ت 681هـ/1282م)[5] من مساعدة الفقراء للزواج، فيسدد لهم المهر، ويتصدق ممّا ينتجه من أرضه يقول في ذلك حفيده ابن مرزوق الخطيب صاحب كتاب المناقب"...فيكتال بين يديه للضعفاء والمحتاجين الذين يحضرون، والذين جرت

---

[1] – انظر: الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص161 -170.

[2]– يحي بن خلدون: المصدر السابق، ص127 . ابن مريم: المصدر السّابق، ص 161.

[3]– يحي بن خلدون: المصدر نفسه، ص119.

[4] – الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص189.

[5] –لا هو أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أبن مرزوق (629-681/ 1226-1282م): القيرواني الأصل استوطن تلمسان في أيام لمتونة فنشأ بنوه بها، عرف بالصلاح والولاية والفقه والتصوف، يحي بن خلدون: المصدر السّابق ص 114.

عادته بإعطائهم، حتّى أذا فرغوا، صرف النّاس وأمر بحمل ما بقي لداره من غير كيل، فيأكل منه عياله، ويتصدق منه الصدقة الكثيرة طول سنته"[1]، كما عرف أبو إسحاق إبراهيم التنسي بتصدقه من المال الذي يربحه في تجارته، وكذا الشيخ أبي الحسن الحرالي (ت 638هـ) لما أصاب اهل بجاية الجفاف وقلّ الماء وغلاّ، وكلف تلامذته بتوفير الماء من عنده فانزعجت زوجته وامتنعت من ذلك، فتوجّه إلى الله بالدّعاء فنزل غيثا،" فدعا الله تعالى، ورفع يديه وشرع المؤذن في الاذان، "... فلم يختم المؤذن لا إله إلا الله، حتى كان المطر كأفواه القرب... "[2]، كما يذكر لنا صاحب عنوان الدراية عن أبي محمد عبد الله بن حجاج الجزائري (ت640هـ/1242م)[3]، الذي كان يصرف كل راتبه الشهري من منصبه في القضاء بالصدقة، بينما يتقوّت من فوائد عقار الذي ورثه من أبوه " ... مع طول مدة ولايته القضاء ببجاية –لا يأكل من مرتبه شيئا، وإنّما كان يصرفه في الصدقة وصلة أهل البر والخير، وما كان يتناول إلّا من شيء يصله من فوائد عقاره ببلد الجزائر، ممّا ورثه عن أبيه...."[4]، والشيخ أبو الحسن علي بن محمد بن الحمال/ الذي عرف بالصّلاح والعلم والإفتاء، كان يجمع الضعفاء والمحتاجين في داره[5]، وهناك جانب مهم للمتصوفة، يكمن في إطعام الزائرين من خلال رِبَطِهم او زواياهم، فقلّما ينصرف الحاضرين دون أن يكرموا[6]، وغالبا ما كان هؤلاء الزوّار يدعون الزيارة للتبرك والجلوس معهم من أجل الطعام، وهي سلوكات

---

[1] – إبن مرزوق: المرجع السابق، ص 160.

[2] – الغبريني: المصدر السّابق، ص140 .

[3] – هو أبو محمد عبد الرّحمان بن حجاج ابن يوسف (ت640هـ/1242م) كان أبوه رجلا فاضلا من أهل العلم، أخذ عن أبي بكر بن العربي وغيره، عرف بالصّلاح الغبريني: المصد السابق ص 245.

[4] – الغبريني: المصدر السابق، ص 245.

[5] – يحي بن خلدون: المصدر السابق، ص118 . خالد بلعربي: الدولة الزيانية، المرجع السابق، ص332.

[6] – أبي العباس أحمد الخطيب ابن قنفذ القسنطيني: **أنس الفقير وعز الحقير**، تصحيح محمد الفاسي وأدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965م، ص23.

* محاضرات الأستاذ بن علي.

عرف بها متصوفة المغرب الإسلامي عموما، ولا شك أنّ التواصل بين متصوفة المغرب الأوسط، والمغرب الأقصى، أو النّازحين من المغرب الأقصى، ساهم في إنتشار هذه الظاهرة[1].

وفيما يتعلق بالإصلاح الاجتماعي، فقد سعى المتصوفة ،إلى إرجاع الروابط الأسرية، وشبكة علاقات الإجتماعية*، والمحافظة عليها بعدما ساد البذخ والترف، ومختلف الآفات الاجتماعية، كالمرأة التي شكت أبي حسن الحرالي في ابنها وإدمانه للخمر، فنصحها بأن تطلب منه ان يشربه بجرعات كبيرة، وحينما سئل عن ذلك قال: "..إذا شربها بالكؤوس الصغار طالت المدة وإن شربها بالكبار قصرت .."[2]، وأبو عبد الله الحجام الذي كان يجهز البنات الفقيرات للزواج... "، والامام السنوسي (ت 895هـ)[3]، الذي كان دائم السعي لقضاء حوائج الناس، رغم رفض مخالطته للسلاطين، "... كثرة وقوفه مع الخلق، ولا يفارق الرجل حتّى ينصرف.... وكان يأمر أهله بالصدقة، سيما وقت الجوع ويقول: من أحب الجنّة فليكثر الصدقة خصوصا في الغلاء.... "[4]، وسعيهم في إطلاق سراح السجناء، والعمل على الغاء العقوبات المسلطة على العوام، وإلغاء بعض الاحكام مثل القتل، وتحرير الشباب من الخدمة مع الجيش[5].

وعلى الصعيد الخارجي فقد عمل الولي الصالح عبد الرحمان الهزميري، الذي سعى الى إيقاف الحصار الذي فرض على الدولة الزيانية بتلمسان لمدة سبع سنوات[6].

---

[1] - انظر عبد الحق بن إسماعيل البادسي: **المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف**، تحقيق سعيد إعراب، المطبعة الملكية، الرباط، 1993م، ص 62، 90، 92.

[2] – الغبريني: المصدر السابق، ص 150.

[3] – التنبكتي: المصدر السابق، ص563. أبو القاسم محمد بن الشيخ بن ابي القاسم الديسي بن إبراهيم الغول الحفناوي: **تعريف الخلف برجال السلف**، مطبعة بيير فونتانة، الجزائر، 1906م، ص 176.

[4] – التنبكتي: المصدر نفسه، ص 569.

[5] – محمد فتحة: المرجع السابق، ص 166.

[6] – التنبكتي: المصدر السابق، ص241.

- **المطلب الثاني: الأسر المتصوفة.**

أسرة المرازقة: تعتبر من بين الأسر المتصوفة المشهورة في الدولة الزياني (انظر ملحق رقم 2)، ويرجع نسبها لقبيلة عجيسة الزناتية[1]، هجرت إلى تلمسان (انظر ملحق رقم 3) من القيروان أيام الحصار المرابطي سنة472هـ/1072م، وكانت بوادر التصوف بها خلال القرن السادس للهجرة مع جدهم محمد بن أبي بكر المتوفى سنة 681هـ/1282م، وكان من"... أهل صلاح ووجاهة بالدين ..." وكان ... من الصلحاء المشاهير والاولياء الاعلام محدثا فقيها زاهدا عابدا ..."[2]، عرف بالمجاهدات وقراءة كتب التصوف، ثم إبنه أبو العباس أحمد (ت 741هـ/1340م)[3]، كان كثير الصوم وعرف بطريقة المدينية والغزالية وكان يحترف بالإقامة عمل الحاكة من الصوف الرّفيع التي كانت تلمسان تختص به، و"كان له درب، له ولعمّاله وخدّامه، وكان له داخل الدرب، درب يختص به، فيه دوره ودور بنيه، والدّور الذي عيّن لأبنائه..."[4] ثم المؤلف للكتاب أبوعبد الله ابن مرزوق الخطيب (ت 781هـ/1379م)، الذي سلك منهج والده وقرأ كتاب الإحياء للإمام الغزالي، ودرس في فاس ومصر والحجاز، بعدما اترحل مع والده سنة718هـ/1318م، فحينما جاور أبوه الحرمين، رجع هو للقاهرة، دارسا على علمائها [5]، وكانت له صلة ومكانة لدى السلطان المريني، منها توليه الخطبة في المسجد مكان عمّه المتوفى، ومن أسرة المرازقة نجد أبي بكر بن مرزوق (ت 792هـ/1389م)، الذي أسّس رباطا والتف حوله العديد من المريدين، وابن مرزوق الخطيب محمد بن أحمد (ت 842هـ/1338م) شيخ القلصادي، صاحب

---

[1] – ابن مرزوق: المصدر السابق، ص 145.

[2] يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص 114.

[3] هو أحمد بن محمد أبو العباس ولدة سنة 681هـ/1283م تعلم العديم من العلوم منهم علماء فاس انظر ابن مرزوق: المصدر السابق، ص 188-189، 271. يحي بن خلدون: المصدر السابق، ص115. فيلالي: المرجع السابق، ص 392-400.

[4] ابن مرزوق: المصدر السّابق، ص 189.

[5] – لسان الدين بن الخطيب (ت 776هـ): **الإحاطة في اخبار غرناطة**، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1973م، ج 3 ص103 . بابا أحمد التنبكتي: المصدر السابق، ص 450-455. ابن مريم: المصدر السابق، ص338-364. الحفناوي: المصدر السابق، ص 137.عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، مؤسسة نويهض للثقافة، بيروت، ط2، 1980م، ص289.

الرحلة[1]، أمّا الذين بعده فلم يبرع في التصوف مثلما برعوا في الفقه، كإبنه محمد الكفيف (ت 901هـ1495م)[2]، وحفيده أحمد بن محمد بن مرزوق الكفيف (ت 920هـ/1514م)[3].

ومن ميزة اسرة المرازقة:

- أعمال الدينية، أنها جمعت بين المجاهدة من صيام وإحسان والصدقة.
- أعمال الدنياوية، بإحترافهم التجارة والفلاحة وارتداء أحسن الملابس والسكن،

– المجال العلمي، تمكنهم من العلوم الظاهرة العقلية، خاصة بالنسبة للأحفاد.

أسرة ابن الخيّاط: وعرف منهم جدهم أبو إسحاق إبراهيم بن الخيّاط، الرجل صالح، كان يعيش من الخياطة، واشتهر بقضائه لحوائج الناس لدى السلطان يغمراسن، كما ذكرنا أنفا، وابنه أبو عثمان سعيد بن إبراهيم، المعروف بابن السبعين، نظرا لتصوفه الفلسفي، "فتربى وربى، وجلس على سجادة الإرشاد، وألبس الخرقة على طريقة أبي العباس الرفاعي، وطريق السيد أبي مدين "[4] وأخوه الصّالح أبو العباس أحمد من الصلحاء الأعلام وتال لكتاب الله، تكسرت عنه القيود حينما حبسه وكبّله السلطان المريني أبي يعقوب، تعلم على يديه أكثر من سبعمئة رجل في السجن، وله كرامات عديدة مشهورة[5].

أسرة النجار: ويعتبرون من الأسر التي لها مكانة في الدولة الزيانية، سواء من الناحية المادية بحيث عرفت بالثراء، ومن الناحية الدينية، بحيث اشتهر رجالاتها بالتصوف[6]، منهم أبو الحسن علي بن النّجارية، الذي قال في شأنه ابن مرزوق صاحب المناقب "...من أصحاب المقامات، وأرباب الأحوال، وكان يعلم القرءان، وظهرت له كرامات معرفة عند أهل بلده"[7]، وقال عنه صاحب بغية الرواد"... ذو الزهادة في

[1] القلصادي: المصدر السابق، ص 95، الحفناوي: المصدر السابق، ص 125. عادل نويهض: المرجع السابق، ص 290.
[2] – ابن مريم، المصدر السابق، ص 431. عادل نويهض: المرجع السابق، ص 292.
[3] – التنبكتي: المصدر السابق، ص 584. عادل نويهض: المرجع السابق، ص 292.
[4] – يحي بن خلدون: المصدر السابق، ص 117
[5] – يحي بن خلدون: المصدر نفسه، ص 118.
[6] – مختار حساني: المرجع السابق، ص 240.
[7] ابن مرزوق: المصدر السابق، ص 170.

الدنيا والإقبال على الاخرة، قبره إزاء قبر أمير المسلمين أبي يحي يغمراسن بن زيان قصد التبرك له بجواره"، وأبو عبد الله بن النّجار، الذي عرف بالنّباهة في الإمامة والعدالة، ومحمد بن يحي بن علي النجار التلمساني، قال عنه شيخه الآبلي: "ما قرأ علي أحد حتى قلت له لم يبق عندي ما أقول لك، غير ابن النجّار"[1].

أسرة التميمي: وهي من الأسر الإفريقية[2]، نزلوا تلمسان واستقروا بها، منهم الفقيه والقاضي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن أبي عمرو التميمي (ت 740هـ/1340م)، عُرف بالعدل والورع من بيت علم ورياسة، والفقيه أبو العباس أحمد، وأخوه أبو عبد الله بن محمد، الذي تحجب للسلطان المريني ابي عنان ابن السّلطان أبي الحسن المريني فتقلّد رياستين، توفي ببجاية 756هـ/1355م، ودفن بتلمسان بطريق العباد[3].

أسرة الصنهاجي: من الأسر الحمّادية، إشتهر منها أبو يوسف يعقوب بن علي، عُرِف بالورع والزّهد، ذو كرامات، ومستجاب الدعاء، كان إمام أهل تلمسان في القِراءَات، وولده أبو زيد عبد الرّحمان، عُرفَ بالصّلاح والولاية، وإبنه أبو يوسف بن أبي زيد عُرف بالعدل والفقه وادراكه كمختلف المعارف، وأخوه محمد بن عبد الرّحمان "اللاحق في كل فضل ودين"[4]

بالإضافة إلى أسر أخرى، كأسرة ابن زاغو العريقة في تلمسان[5]، وأسرة التفريسي، وأسرة أولاد سيدي الحاج وغيرها.

فقد لعبت الأسر المتصوفة دور مهم في المحافظة على صيرورة واستمرارية الحركة الصوفية في الدولة الزيانية، كما ساهمت في انتشار التعاليم الدينية وتلقينها أبا عن جد، لولا المجاعة التي ضربت المنطقة سنّة698هـ/1299م، إلى سنة706هـ/1307م، ومجاعة سنة776هـ/1375م. في عهد السلطان أبو حمو موسى الثاني (760- 791هـ/1359-1389م)،والتي وصفت بالمجاعة الكبرى، والمجاعة

---

[1] – ابن مريم: المصدر السابق، ص 294.

[2] - يحي بن خلدون: المصدر السّابق، ص 131.

[3] – يحي بن خلدون: المصدر نفسه، ص132 -133.

[4] - لم يتم ذكر تاريخ ميلاد أو وفاة متصوفة هذه الاسرة انظر: يحي بن خلدون: المصدر نفسه، ص 119.

[5] – يحي بن خلدون: المصدر نفسه، ص 121.

العظيمة[1]، والأوبئة الذي المنطقة والمتمثل في الطاعون الأسود (750- 751هـ/ 1349-1350م)،واستمرار الجفاف الذي كان من الظواهر المعروفة في المغرب الأوسط، ما أثّر في نفوذ مئونة المدّخرات، وارتفاع أسعار السلع بعد أربع سنوات من حكم أبو حمو موسى الثاني، والطّاعون الذي ظهر في عهد السلطان أبو العباس أحمد العاقل(834- 866هـ/1431-1462م)، فاجتاح الدولة الزيانية وخاصة عاصمتها تلمسان، التي كانت أكثر تضررا[2]، ممّا أثر على الحياة الاجتماعية، خاصة لدى الطبقة الضعيفة الذين كانوا أكثر الضحايا، وأدّى إلى إندثار وإنقراض بعض الأسر التي لعبت دورا مهما في إنتشار التصوف داخل الأسرة.

- **المطلب الثالث: النّساء المتصوفات.**

رغم بروز التصوف كظاهرة عرف بها الرجال قبل النساء، إلّا أن هذا لم يمنع من بروز بعض النّسوة اللّائي ساهمن إمّا في بروز الرجال المتصوفة وكنّ سببا لذلك، أو اشتهارهن هُنّ أنفسهنّ بالتصوفّ، وذاك للأسر التي نشأن فيها أو لفطرتهن الصوفية، ومن بينهنّ: عائشة بنت الأكحل بنت أبي الحسن التنسي التي كانت يُحضر لها ما تشتهيه من فواكه من غير أن تذكر أو تفصح عن ذلك، ويخبرنا ابن مرزوق الخطيب بذلك، لكونه كان مجالسا لها وأخبرته هي نفسها بذلك، "حدّثتني الشيخة الصّالحة، عائشة بنت إبن الأكحل، وكانت من خيار الصّالحات، أنّها مرضت، فاشتهت أن تشم تفاحا، وذلك في غير إبانه، قالت: فدخل يعودني، فهممت أن أذكر له ماعرض لي، فقال لي: يا خالتي عائشة!تشم تفيفحات؟ وأخرج لي من كمه تفاحا"[3]، وروي عنها نفس الامر في سفرجلة، والبطيخ والتّين وغير ذلك.

وعائشة بنت أحمد بن الحسن المديوني، وهي أم أبن مرزوق الحفيد، والتي إشتهرت بتأليفها للعديد من الأدعية، واشتهرت بتعبيرها للرؤيا يقول صاحب نفح الطيب "...وكانت من الصالحات، ألّفت أدعية

---

[1] – خالد بلعربي: **ورقات زيانية، دراسات وأبحاث في تاريخ المغرب الأوسط في العهد الزياني**، دار هومة، الجزائر، ص 103.
انظر مزودر سامية: **المجاعة والاوبئة في المغرب الأوسط (588-927هـ/1192-1520م)**، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة منتوري قسنطينة، 2008-2009م، ص 130-143.

[2] – خالد بلعربي: ورقات زيانية، المرجع السابق، ص113.

[3] – ابن مرزوق: المصدر نفسه، ص 235.

إختارتها، وكانت لها قوة في تعبير الرؤيا، إكتسبتها من كثرة مطالعتها لكتب الفن ..."[1]، أخذ عنها إبنها فيما يتعلق عن تاريخ أبوه منها، ومنهن أم الفتح الملقبة بفتحون، خالة أبي عبد الله محمد بن المرزوق صاحب كتاب المناقب، التي تضرعت لله أن تقبض روحها في بيت المقدس، فكان لها ما أرادت، بعد أن حجّت وزارت، وكانت هي مربيته وأمّه الثانية بعد وفاه أمّه خديجة بنت يخلف التنسي[2]، وفاطمة بنت أبي النجار، زوجة أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن مرزوق (ت681 هـ/1283م)، وأمّها منى بنت ابن حسين، وأم أبي بكر بن مرزوق هي زينب بنت الشيخ الصالح، أبي إسحاق أبراهيم بن محمد الدلالي التي كانتا تخدمان الشيخ وتبرانه، وكانت مدة أقامت منى في بيت الشيخ نحو ثمانية أعوام، وحضيبة والدة سعاد الرّياحي من نواحي الزّاب، التي عُرفت بالزّهد والتّقشف والصّيام والقيام المتواصل، حتّى بلغت أعلى مقامات العبادة والورع[3]، وستم بنت الشيخ أبي علي حسين بن الجلاب[4]، وفاطمة بنت الشيخ العالم، أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز، الذين يعتبرون من أجل أسر التلمسانية، وزوجة أبي عبد الله محمّد الثاني بن مرزوق، بنت الفقيه أبي عبد الله الكتاني، فكلّهنّ إشتهرن بالتّصوف وبورعهنّ، حتى صاحب المناقب يذكرهنّ بالصّالحة، وتارة بالشيخة الصالحة، وتارة أخرى بالحاجة الصالحة، او الصالحة المباركة، او الزاهدات الصالحات، ... وكذا المؤمنة التلمسانية، التي كانت على "...زهد وتقشف وعبادة..."[5]، وكانت لها مكانة لدى أبو عبد الله المقّري، قاضي الجماعة بفاس، الذي كان يزورها ويسعى لقضاء حوائجها، وكان قوتها من غزل يدها، وتنقطع عن الناس في شهر رجب شعبان رمضان ودائمة لقراءة القرءان، فكان الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الوهاب، معلم لكتاب الله يكتب لها لوحها[6]، ويذكر لنا ابن مريم صاحب البستان، عن جدة أحمد زروق الفقيهة، التي كفلته بعد وفاة أمه وأبوه، وعاش في كنفها

---

[1] – احمد بن محمد المقّري (ت 1041هـ): **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988م، ج5، ص 431. ابن مريم: المصدر السابق، ص 378، عادل نويهض: المرجع السابق، ص 289.

[2] – ابن مرزوق: المصدر السابق، ص 292.

[3] – الطاهر بونابي: **ظاهرة التّصوف النّساء في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط**، ضمن كتاب المرأة والخطاب الصوفي، إشراف ساعد خميسي، دار بهاء الدين، قسنطينة، 2010، ص 67.

[4] – ابن مرزوق: المصدر السابق، ص162 .

[5] – إبن قنفذ: أنس الفقير، المصدر السابق، ص 80.

[6] – ابن قنفذ: أنس الفقير، نفس المصدر، ص 80.

وكانت سببا في حفظه القرءان[1]، وأم الحسن أبركان، الذي كان شديد الخدمة لها، حتى انه لم يكن يبيت معها في نفس البيت، ويعتبر ذلك من سوء الادب، ".. وقد بلغ من تعظيمه لأمه أنه كان من شدة خدمته لها لا يبست معها في بيت واحد، ويراه من التجاسر وسوء الأدب، وكان يحافظ أشد المحافظة على ما خلفته الأم من بعض لباسها، بل وعلى الهيدورة التي تجلس عليها ..."[2]، كما كانت البنت تأخذ التصوف من أبيها، حتى وإن اشتهروا بالثّراء الفاحش، وغالبا ما نتج عن ذلك مصاهرة المتصوفة فيما بينهم، كزيارة إبن القطان ليعوده الشيخ أبي إسحاق التّنسي في مرضه فكان نتيجته المصاهرة في قوله " ...وقال له أنت نسيبي، ثم نظر لإبنته ... "[3]، ومصاهرة أبي النجار بأسرة إبن مرزوق، وهو ما جعل المرأة الصوفية تعيش في نفس الجو الروحي الثّابت[4].

وما يبيّن مقامهنّ ومكانتهنّ، أنّهن أصبحن من المصادر الأساسية في رواية أخبار الصوفية والصلحاء، وهو ما إعتمد عليه ابن مرزوق الخطيب مثلا، فغالبا ما نجد إستعماله لكلمة أخبرتني، كقوله "...أخبرتني الصالحة المباركة، فاطمة بنت العالم، أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز..."، "...أخبرني هو والمرأة الصالحة ستم بنت الشيخ أبي علي..."، "...حدثتني الحاجة المباركة ست الملوك...". وهذا ناتج من الكرامات، التي لا تفارقهن وتفارق أزواجهن وبيوتهن، لإستقامتهن وزهدهنّ، ولطاعتهن لآبائهن، وتأثرهن بالمحيط الذي تقيمن فيه، كما تدل على الترابط والتماسك والتواصل العائلي فيما بينهم، فكثيرا ما يُشير ابن مرزوق في كتابه إلى خالة والده[5]، عمته[6]، جدته[7]، وعمته زينب. وزوجة الشيخ السنوسي التي روت

[1]- ابن مريم: المصدر السابق، ص 122.

[2] - ابن مريم: المصدر نفسه، ص 187.

[3] - ابن مرزوق: المصدر السابق ص 196. ابن مريم: المصدر السابق، ص98 .

[4] - الطاهر بونابي: **الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين 14-15 الميلاديين**، رسالة دكتورة، قسم تاريخ، جامعة الجزائر،2008 -2009م، ص 392.

[5] - ابن مرزوق: السابق نفسه، ص 160، 188.

[6] - ابن مرزوق: المصدر نفسه، ص 163، 188.

[7] - ابن مرزوق: المصدر نفسه، ص 165.

الكثير عن زوجها وهي من الصالحات"، أخبرتني زوجته أنه في بدء أمره إذا قام الليل، نظر السّماء ويقول: ياسعيد كيف تنام وأنت تخاف الوعيد..."[1].

ورغم ذلك فإنّ أغلب كتب المناقب والتّراجم سكتت عن ذكر الكثير منهن، وهذا، لا محال راجع إلى إعتبارهن من حرمات البيوت اللّائي لا يجوز الحديث عنهن[2]، كما تعرضن للعديد من العقبات، خاصة من قبل أبائهن وشيوخ القبيلة وحتى من الفقهاء، فكبحوا نشاطهن الإجتماعي والديني خلال القرن السابع والثامن للهجرة، وسرعان ما تغير الوضع في القرن التاسع والعاشر، فساهمت المرأة المتصوفة في نشر التصوف، من خلال حضورها الذكر الجماعي والتزامهن بزيارة الأضرحة والقبور والتبرك بها[3]، خاصة في البوادي والأرياف البعيدة عن سلطة الفقهاء، منها أنّ أحمد بن يوسف الملياني الراشدي (ت 931هـ/1525م)، صاحب الطريقة الرّاشدية، الذي كان يرتّب الذّكر الجماع، بأسماء الله الحسنى للنّساء في زاويته بالشلف، كما لعبت دور مهم في نشر التصوّف الشعبي، من خلال حضور حلقات الذكر الجماعي ممّا سمح لها بعد ذلك في حبس الأرض المزروعة وتقديم غلتها للمتصوفة[4]، في المولد النبوي وتقديم هبات للمساجد والزوايا، خاصة اللاّئي ينتمين إلى الأسر الثرية.

[1] – التنبكتي: لصدر السابق، ص 369.

[2] – الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص 399.

[3] – الطاهر بونابي: ظاهرة التّصوف النّساء في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، المرجع السّابق، ص55 ، 68 -69.

[4] – الطاهر بونابي: ظاهرة التّصوف النّساء في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، المرجع نفسه، ص 69.

الفصل الثاني: دور المتصوفة في الحياة الدينية والحركة العلمية.

- **المبحث الأول: تأثير المتصوفة في الحياة الدينية.**

✓ **المطلب الأول: علاقة المتصوفة بالفقهاء.**

✓ **المطلب الثاني: الرباطات وزوايا المتصوفة.**

✓ **المطلب الثالث: من قضايا المتصوفة من خلال النوازل (المعيار للونشريسي نموذجا).**

- **المبحث الثاني: إسهامات المتصوفة في الحركة العلمية.**

✓ **المطلب الأول: دور المتصوفة في التعليم.**

✓ **المطلب الثاني: إسهامات المتصوفة في العلوم النّقلية.**

✓ **المطلب الثالث: إسهامات المتصوفة في العلوم العقلية.**

▪ المبحث الأول: تأثير المتصوفة في الحياة الدينية.

لا شك أنّ ما قام به الموحدون من إصلاحات دينية من التقرب للمتصوفة وفتح مجال للنزعة العقلية في إدراك صفات الله، وتدريسهم لكتب المتصوفة، عكس القيود التي فرضها فقهاء المرابطون، من التنعم في حياة الترف والبذخ، وحرق كتاب الاحياء للغزالي، كانت لهذه السياسة الأثر البالغ في الدولة الزيانية بما فيها الأوضاع الدينية[1].

• المطلب الأول: علاقة المتصوفة بالفقهاء.

لقد كانت العلاقة بين المتصوفة والفقهاء علاقة ود واحترام في أغلب فترات الدولة الزيانية، رغم الصراعات التي عُرفت بينهما بين الفينة والأخرى، وهذا راجع إلى إنكار بعض الفقهاء للكرامات التي تصدر من المتصوفة، وللإقبال الذي يُشهد لهم من قبل العوام[2]، ورغم ذلك نجد أن المتصوفة كانت لهم مكانة خاصة لدى الفقهاء عموما، وكانت بينهم المودة والإحترام المتبادل، وهذا ما تشير اليه المصادر، كاجتماع الفقهاء حول أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي، لأخذ العلم منه، يقول صاحب نظم الدر"...فكان يجتمع اليه الفقهاء..."[3]، كما أنّهم كانوا سببا في إستوطانه بتلمسان بعدما كان السّلطان يغمراسن يلح عليه ذلك" فجاء إليه الفقهاء والسلطان، وطلبوا منه المقام بتلمسان فأجابهم واستوطنها"[4]،وما ذكره إبن مرزوق صاحب المناقب "...فاجتمع إليه صلحاء تلمسان وفقهاؤها..."[5]، وقال السّلطان له"...جئتك راغبا منك أن تقيم ببلدنا لتحي العلم ...واجتمع إليه الفقهاء بحضرة السلطان فعزموا عليه، فقال لهم: باسم الله، فعرض عليه السلطان المنزل، والإعانة ..."[6]، ليثبت العلاقة الحميمية بين الطّرفين، خلال القرن السابع والثامن بدرجة اقل-بحسب كتب المناقب والتراجم-بحيث لم يعرف صراع محتدم بين الجانبين، لكون التصوف كان له علاقة وطيدة بالفقه، فلم

---

[1]- محمد فتحة: المرجع السّابق، ص 159-160.

[2]- عبيد بوداود: الرجع السّابق،ص 251.

[3]- التنسي: المصدر السابق، ص 126

[4]- ابن مريم: المصدر السابق، ص 158.

[5]ابن مرزوق: المصدر السابق، ص 275.

[6]- ابن مرزوق: المصدر نفسه، ص 275.

يكن هناك متصوف إلا وتجده متفقه، ولا متفقه إلا ويهتم بالتصوف ويجالس أهله، " ..فلا تصوف إلّا بفقه إذ لا تعرف أحكام الله تعالى الظاهرة إلا منه، ولا فقه إلا بالتصوف إذ لا عمل إلا بصدق توجه، ولا هما إلا بإيمان، اذ لا يصح واحد منهما بدونه فلزم الجمع لتلازمهما في الحكم كتلازم الأرواح للأجساد.."[1]، وقال الإمام مالك:" من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن جمع بينهما فقد تحقق"، فتزندق الأول، لأنه قال بالجبر الموجب للنفي الحكمة والاحكام، وتفسق الثاني، لان عمله خال من صدق التوجه والذي هو حاجزعن معصية الله تعالى وعن الإخلاص المشترط في العمل لله[2]، والثالث تحقق له ذلك لقيامه بالحقيقة في عين التمسك بالحق، أي ان كلامهما متلازمان، وهو ما نجده عند متصوفة وفقهاء الدولة الزيان الذين اهتموا بكلاهما،فجمعوا بين علم الشريعة وعلم الحقيقة، علم اهل الظاهر وعلم اهل الباطن، حتّى أن بعضالمنازل والحوانيت كانت مخصصة لهما يقول صاحب المناقب"... ولم تزل تلك الحانوت مجتمع للفقهاء والصلحاء ..."[3]، وقوله ".. إجتمع اليه الفقهاء والسلطان..."[4]، والجلسات التي كانت تقام في بيت بن مرزوق فيحضرها صلاح المدينة وعلماءالظاهر[5]، وتتخللها أسئلة بينهم في المسائل الشرعية والعقدية، بالإضافة للصلاة النوافل، التي إلتزموا بها، فالفقهاء أنفسهم كانوا يعتبرون هذا العمل من أنواع التعاون على البر والتقوى، ووسيلة لتنشيط المتكاسل عن العبادة والذكر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن أبطأ به عمله، لم يسره به نسبه" مما يدل جمعهم بين التصوف والفقه، أي العمل بالكتاب والسنة، وصدق التوجه الى الله، وخالفة النفس والتربية الروحية، وقد برزالعديد منهم، كالشيخ أبوا عبد الله بن أبي بكر بن مرزوق(ت 681هـ/1283م)، الذي عُرف بحفظه

---

[1]- أبي العباس احمد بن احمد بن محمد بن عيسى زروق(ت 899هـ): **قواعد التصوف**، تحقيق عبد المجيد خيالي، دار الكتب العالمية، بيروت، 2005م، ص 22 بن عجيبة: المصدر السابق، ص 5.

[2] - زروق: المصدر نفسه، ص 5.

[3]ابن مرزوق: المصدر السابق، ص 275.

[4]- ابن مرزوق المصدر نفسه، ص 275.

[5] - فيلالي: المرجع السابق، ج2، ص 106.

للقرءان، واشتغاله بالفقه والحديث ثم اخرا بكتب التصوف[1]، وأبو محمد المجاصي المعروف بالبكاء (ت 741هـ/1341م)، والفقيه المتصوف أبو إسحاق إبراهيم بن علي ابن اللجام[2]، من قضاة العدل والصرامة في الحق، والشيخ الفقيه،وأبو عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن فتوح النفزي (ت 642هـ/1235م)[3]، والفقيه أبو العباس احمد بن عثمان بن عبد الجبار المنوسيالملياني (ت 644هـ/1237م)[4]، والفقيه أبو علي عمر بن عبد المحسن الوجهاني الصواف (ت 691هـ/1293م)[5]، وابوا إسحاق إبراهيم بن احمد بن الخطيب، كان له علم بالنحو والمنطق واصول الفقه والحكمة والتصوف، ومحمد السنوسي(ت895هـ/1490م)[6].

كما يرى البعض أن ظهور المتأخر للتصوف في المغرب الأوسط، بعيدا عن صراعات المشرقية من تكفير وقتل، هوالذي هذبها[7]، بحيث ان التصوف أصبح معروفا، فكثيرا ما كان يلجأ متصوفة الاندلس للمغرب الأوسط، هروبا من التكفير الذي كانوا يتلقوه من قبل فقهاء الاندلس[8].

وخلال القرن الثامن ضعفت العلاقة بين الطرفين، ولو أنها لم تبلغ درجة الصراع، وهذا لا شك بسبب التهديدات التي أصبحت تُشكلها الطبقة المتصوفة، من انتشار أفكارهم والمكانة التي حظوا بها لدى السلاطين وعامة الناس من ناحية، وضعف فقهاء القرن الثامن، مقارنة بسابقيهم من ناحية أخرى، بالإضافة الى إدعاء البعض التصوف لأغراض شخصية، وللخرافات والفسيفساء التي نُسبت للمتصوفة ظلما وبهتانا[9]، وتكذيب البعض، والغلو في الكرامات التي تصدر منهم لتباعه الشريعة

---

[1]- ابن مرزوق: المصدر السابق، ص 149.

[2]- ابن مرزوق: المصدر نفسه، ص 132، يحي بن خلدون: المصدر السابق، ص 118.

[3]- الغبريني: المصدر السابق، ص 183.

[4] - الغبريني: المصدر نفسه، ص 188.

[5]- الغبريني: المصدر نفسه، ص 200.

[6] - نجيب بن لمبارك: ذخائر حاضرة تلمسان، القافلة للنشر والتوزيع، الجزائر،2012، ج2، ص 68.

[7]عبيد بوداود: المرجع السابق، ص 244.

[8]-عبيد بوداود: المرجع نفسه، ص :245

[9]- انظر عبد الكريم فكون: **منشور الهداية في كشف حال من ادّعى العلم والولاية**، تحقيق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م، ص 119-127. مختار حساني: المرجع السابق، ج4 ، ص 185

وأثبتن للأوليـا الكرامة ومن نفاها فنبذن كلامه.

ولو أن الصراع عرف بين الفقهاء والمتّصوفة الفلاسفة، في عهد محمد بن خميس (ت708هـ/1309م)[1]، الذي تصدى له بعض الفقهاء لأفكاره، التي رأوا بأنها كفر وزندقة، واستمر الصراع الى عهد محمد بن يوسف السنوسي (ت 895هـ/1490م)، بين أبو عبد الله محمد بن مرزوق الحفيد، وبين سعيد العقباني (ت 837هـ/1434م)، الذين عرفا باجتهادهما وعلمهما، رغم ذلك فلم يشهد تيار ابن مرزوق أتباع كثر مقارنة بالشيخ العقباني الذي كان من أنصاره خيرة رجال التصوف منهم شيخه عبد الرحمان الثعالبي[2]، والحسن أبركان، ومحمد بن عبد الله التنسي[3].ومنه نقول، إن المغرب الأوسط في فترته الزيانية لم يشهد ذلك الصراع التكفيري الزندقي خلال القرن السابع والثامن والتاسع للهجرة، ما عدا الاحتدام الذي عرف بين التيار الفلسفي والمنتمين الى الشاعر والمتصوف الفلسفي ابن خميس رغم قلّتهم، والشيخ الصوفي سعيد العقباني، وهو ما جعل التيار التصوف السني الغالب، وبقية الصراع في حدوده مما جعل العلاقة علاقة تعايش.

[1] – هو أبو عبد الله محمد بن عمرو بن خميس الحجري، أديبا فاضلا حافظا لأشعار العرب وعارفا بأخبارهم وأقوالهم متصوف، ولد بتلمسان 650هـ/1252م، واغتيل في غرناطة عام 708/1308م، اشتهر بشعره الصّوفي جميل المعنى والمبنى، انظر يحي بن خلدون: المصدر السّابق، ص 109-111. محمد الطمّار: **تاريخ الأدب الجزائري**، ديوان المطبوعات الجامعية،2010 م، ص 222-242.

[2]– عبد الرّحمان بن محمد بن مخلوف الثعالبي أبو زيد من كبار المتصوفة والمفسرين، ولد سنة 782هـ نشأ بناحية وادي يسّر بالجنوب الشرقي من مدينة الجزائر وتعلم في بجاية وتونس ومصر، له عدّة تصانيف قيّمة، وذوا مكانة علمية مرموقة، أنظر التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر السّابق، ص 257-261. عادل نويهض: المرجع السّابق، ص :91

[3]– انظر فيلالي: المرجع السابق، ص 407-413، أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجري (16– 20م)**، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981م، ص 40- 41.

- **المطلب الثاني: الرّباطات وزوايا المتصوّفة.**

قال الله تعالى: "... يأيها الذين ءامنوا صيروا وصابروا ورابطوا .."[1]، يُعتبر الرباط مركب مؤسساتي*كان في بداية الأمر، عبارة عن قلعة حصينة أو ثكنة عسكرية لإيواء مجموعة من الجنود والمتطوعين ،كما كان ملجأ للمسلمين الفارين من العدو[2]،ثم غلب عليه الطابع الديني، فجمع العديد من الشيوخ والعلماء والفقهاء للتقرب الى الله تعالى بالعبادة والانقطاع عن الخليقة[3]، وهو ما تمثل له متصوفة العهد الزيانية، فيشير صاحب الإستبصار لوجود رباط ندرومة كان ملجأ للصّالحين من أجل العبادة بقوله "..وكان رباط حسن فيتبرك به..."[4]، وفي الفترة الزيانية، فقد كانت الرباطات قليلة جدا، ومنها رباط أبو محمد عبد الكريم بن عبد الملك المعروف بابن يبكي، وكان ينفق على الطلبة والمريدين من أوقافها يقول صاحب عنوان الدراية، ".. صاحب رابطة المعروفة الان برابطة ابن يبكى ببجاية ورباط تلمسان[5]، بداخل باب أمسيون... وهو الموافق لأوقافها المعروفة الأن بها ..."[6]، ورباط علي بن أبي نصر فتح بن عبد الله البجائي (ت 652هـ/1255م)، ولكن الرّباطات لم تكن تستمر لوفاة أصحابها ولعدم وجود خليفة كفؤ، في مستوى سابقيهم، وقد لعبت دور مهم في توفير الحماية في السواحل والثغور، بالإضافة الى

---

[1]- ال عمران/200.

* محاضرات الأستاذ طاهر بن علي.

[2] - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن التاسع للهجرة، عالم المعرفة، الجزائر،2015م، ج1، ص 281.

[3]انظر محمد بن مرزوق : **المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا ابي الحسن**، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية، الجزائر، 1981م، ص 412.

[4]-مجهول:الاستبصار، المصدر السابق، ص 135.

[5]- كمال الدين أبو مصطفى: **جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي**، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1992م، ص 106.

[6]- هو أبو محمد عبد الكريم ابن عبد الملك بن عبد الله بن طيّب الأزدي عُرف بابن يبكى، من أهل قلعة حمّاد، صاحب الرّابطة المعروفة كان من جملة أهل العلم،الغبريني: المصدر نفسه، ص213 .

عدم دعم السلاطين لها والوافدين اليها، وسرعان ما حلت محلها الزوايا[1] خلال القرن السابع للهجرة، لتعدد تيارات المتصوفة[2]، فرغم ان هذه الأخيرة تمارس نفس نشاط الرباط الا انها اضافت لمهامها أعمال وانشطة أخرى[3]، كالاعتناء بالطلبة، ومنها:

زاوية يعقوب بن عمر البويوسفي (ت717 هـ/1317م): المعروفة بالزاوية الملارية، "... من جبال الشلف بأرض تلمسان ... فأقام به زاوية ووجد ببركتها مكانة سنية، وبها توفي ..."[4].

زاوية أبي الفضل قاسم بن محمد القرطبي (ت 662هـ/1264م):هو أبو الفضل قاسم بن محمد القرشي القرطبي عرف بالفقه والصّلاح والزّهد والورع، ودعوته مستجابة، ولد بقرطبة وبها نشأ وخرج منها وهو صاحب عشرة أعوام، إستوطن في بجاية وله كرامات مشهورة.[5]

زاوية الشيخ سيدي ابن الحسن: انجزها السلطان أبو سعيد عثمان الزياني (681-704هـ/1283-1305م)، وكانت تموّل من طرفه[6].

زاوية اليعقوبية: أنشأها السلطان أبو حمو موسى الثاني على وسمّية على اسم ابيه يعقوب الذي دفن بها، ودفن فيها العديد من المتصوفة.

زاوية أبي عبد الله[1]: وهو من أعلام المشاهير، إستقر في موضعا واتخذهخلوة له، واشترط لمن يدخل زاويته أن يكون ملتزما بالكتاب والسنة والسلف الصالح[2].

---

[1] – أبو القاسم سعد الله: **بحوث في التاريخ العربي الإسلامي**، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1،2003م، ص18 – 19.العماري الطيب:**الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر، التحول من الديني إلى الدنيوي ومن القدسي إلى السياسي – دراسة أنثروبولوجيا** – مجلة العلوم السياسية والاجتماعية، جامعة بسكرة، العدد 15، جوان، 2014م، ص 6.

[2]– طاهر بونابي: المرجع السابق، ص 224. الطيب جاب الله: دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري، مجلة معارف، جامعة البويرة، العدد14، أكتوبر، 2013، ص 3.

[3] – العماري الطيب: المرجع السابق، ص 7.

[4]– أحد أصحاب الشيخ أبو مدين شعيب ابن قنفذ: المصدر السابق، ص 40.

[5]– الغبريني: المصدر نفسه، ص 175. صالح فركوس: **تاريخ الجزائر الثقافي من العهد الفينيقي الى نهاية الدولة الزيانية**، جامعة قالمة، ج1، 2011م، ص135 .

[6]– الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص 225.

بالإضافة الى زوايا أخرى بنيت خلال القرن التاسع للهجرة كزاوية محمد عمر الهواري بوهران[3]، وزاوية الثعالبي بمدينة الجزائر، وزاوية السنوسي بتلمسان، وزاوية إبراهيم التازي بوهران[4].

فالزّوايا عرفت تطورا، فبعدما كانت في القرن السابع تهتم بالطلبة المقيمين بها، من طرف الشيخ، أصبحت في القرن الثامن أخذت بعدا دينيا أكثر، واهتمت بإيواء المسافرين وعابري السبيل وإطعام المحتاجين[5]، يقول ابن مرزوق في المسند عن المغرب الأقصى "...والظاهر ان الزوايا عندنا في المغرب هي المواضع المعدّة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاجين من القاصدين ..."[6]، إلاّ أنّ الأمر ينطبق على المغرب الأوسط التي عرفت بالتواصل الثقافي ببنها وبين المغرب الأقصى المستمر، وللتقارب الجغرافي.

فالزّوايا غالبا ما تسير من قبل الشّيخ، الذي يسعى لتربية المريد تربية روحية، بتعريفه بعيوب نفسه، ويلقنه شعائر الله وسنن رسوله، وأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وأن يذكر الله كثيرا ويتوب اليه[7]، قال القشيري "... ولا يصح للشيوخ التجاوز عن زلاّت المريدين، لأنّ ذلك تضييع لحقوق الله تعالى، وما لم يتجرد المريد عن كل علاقة، لا يجوز لشيخه أن يلقنه شيئا من الاذكار بل يجب أن يقدم التجربة له، فإذا شهد قلبه للمريد بصحة العزم، فحينئذ يشترط عليه أن يرضى بما يستقبله، من الضر والذل والفقر والأسقام والالام، وأن لا يجنح بقلبه إلى السهولة ولا يترخص عند هجوم ..."[8]،فالشّيوخ مثل أطباء العظام، لفتح أقفال القلوب، وهذا ما تميز به متصوّفة العهد الزياني، الذين نزلوا بمستوياتهم للعوام فأثروا وتأثروا بهم، وهذا راجع لا محالة، الى فكرتهم النيرة الطيبة، فعرف التيار الصوفي انتشارا واسعا في ارجاء

---

[1]- خالد بلعربي: الدّولة الزّيانية، المرجع السابق، ص 316.

[2]- عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص 149.

[3]- محمد بن عمر الهواري أبو عبد الله (751-843/1350-1439): ولد بمغراوة وانتقل إلى بجاية، متصوف فقيه زاهدا متقشّف، عُرف بالسياحة شرقا وغربا، التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر السّابق، ص 516. عادل نويهض : المرجع السّابق، ص 337.

[4] -هو إبراهيم بن محمد بن علي اللّنتي التّازي نزيل وهران، من بني لنت قبيلة من بربر تازة، توفي يوم الاحد تاسع شعبان سنة 866هـ. ابن مريم: المصدر السّابق ص 146-147.عبيد بوداود: المرجع السابق، ص 99.

[5] - العمار الطيب: المرجع السابق، ص 9. خالد بلعربي: الدّولة ا الزيانية، المرجع السابق، ص317.

[6]- ابن مرزوق: المسند، المصدر السابق، ص 413.

[7]- عامر النجار: المرجع السابق، ص 6.

[8]- القشيري: المصدر السابق، ص 391.

الدولة فوصل للأرياف التي كانت بعيدة عن المدن ولمختلف شرائح الاجتماعية، إلا أنه عرف ركودا فيما بعد، خاصة خلال القرن التاسع للهجرة، للاهتمام المغالي فيه من قبل السلاطين، بأبناء الشيوخ واعفائهم من الضرائب والمغارم السلطانية، ولظهور فئة من المتواكلين الدجاجلة والمشعوذين المنافقين، الذين ادّعوا التصوف، واحتموا تحت ردائه، فظلوا وأظلوا، وحاشا أن يكونوا منهم (المتصوفة الصادقون)، فأولئك عَملوا بما علِموا فورثّهم الله ما لا يعلمون.

المطلب الثالث: من قضايا المتصوفة من خلال النوازل (المعيار للونشريسي[1] نموذجا).

تناولت كتب النوزل كثير من المسائل المتعلقة بالمتصوفة والتصوف، منها السؤال (انظر ملحق رقم4) الذي طرح لأبي العباس أحمد القباب (ت 779هـ/1378م)[2]، عن جماعة من الطلبة، الذين طعنوا في كتاب الإحياء وأنكروه، واصفين إيّاه "بإماتة علوم الدين"، مستفسرين في ذلك، " هل إنكارهم وجه أم هو جهل منهم؟، وهل يجوز لكل أحد أن ينظره أم لا يجوز، إلا لعارف؟، وفيه ما ينظر وما لا ينظر؟ وهل على من أنكر عقوبة لكونه أنكر ما لا يعرفه أم لا؟، فكانت إجابة الشيخ منكرا لمن إدعى ذلك، مدافعا عن الإمام الغزالي، واصفا الطلبة بالمبتدعين والجهلة والأغبياء في حق الإمام وكتابه، مبرزا رسوخ الإمام أبو حامد الغزالي بالراسخ في العلم[3]، ويقول الونشريسي، أنه وجد بخط الشيخ أبي عبد الله السطي، أن الشيخ أبي الحسن المنتصر قال:" الغزالي إمام في الفقه متوسط في أصول الفقه، ضعيف فيالاعتقادات"[4]، كما سئل عز الدين بن عبد السلام (ت 658هـ/1261م)، عن حكم الرقص والسماع التي يقوم بها المتصوفة، المعروفين بالصلاح والورع، نتيجة لإنشاد أُنشد لهم في المحبة، فيصيحون

---

[1]- أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي ولد سنة834م، وتوفي بفاس سنة914م، انظر ابن مريم: المصدر السابق، ص 134، محمد بن جعفر بن ادريس الكتاني: **سلوة الانفاس ومحادثة الاكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، تحقيق محمد حمزة بن علي الكتاني، د ن، د ب، د ت، ص571. أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص94 -98.

[2]-هو أحمد بن أبي القاسم بن عبد الرّحمان، يعرف بالقباب، ويكنّى أبا العباس من أهل فاس توفي سنة 708هـ. ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص 189.

[3]- أبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي: **المعيار المعرب والجامع المغرب في فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، إشراف محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج12، 1981م، ص 184.

[4]- الونشريسي: المصدر نفسه، ج 12، ص 184.

ويرقصون ويبكون ...، فهل يكره لهم هذا الفعل أم لا؟، وما حكم السّماع؟، فكانت الإجابة بتبديع ذلك الفعل ولا يصدر إلّا من ذوي العقول القاصرة، وهي من خصائص، وإن كان الإنشاد فيه ذكر للأخرى فلا بأس به[1]، كما أجاب الشّيخ أبي فارس عبد العزيز بن محمد القروي الفاسي (ت 750هـ/1350م)[2] نفسه، وقال "... ولم يكن أحد في مغربنا من هذه الطوائف فيما سلف، إلى ان ظهرت هذه الطائفة الامية..."[3]، مما يدل على غلو بعض الأشخاص التي ادعت التصوف، او ان هؤلاء الفقهاء كانوا في عداء مع المتصوفة واضطراب العلاقة بينهما، وان الذين كانوا لا صله لهم بالمتصوفة، وانهم من العوام الجهلة، أمّا محمد بن إبراهيم الوغليسي (ت 768هـ/1367م)[4]، فقد أفتى ببدعتها، إلّا أنّه فرّق بين سلوكات المتصوفة الصادقين نابجة عن شوقهم واشتياقهم اللاإرادية فقال"... وربما لا يملكون أنفسهم عن القيام، والحركة لغلبة ما يرد عليهم، وقد تخلصوا من مذام أنفسهم وقبائحها..."، (انظر ملحق رقم5)وما سئل عنه سعيد العقباني عن قوم يجلسون في مجلس ويتذاكرون بالسبحة ومعهم الشّيخ، ويبتهلون ويظهر على ظواهرهم سكونا وخشوعا، ويطعمون الطعام، فكان الشيخ العقباني مستحسن لذلك وأن ذلك من الشرع، والأدلة كثيرة في ذلك، وقال".." لقد حضرت مجلسهم مرتين فما رأيت إلا تعاونا على البر والتقوى وبعدا عن الاثم والطغوة..."[5]، وفي هذا قال السّر سقطي".. فتطّرب قلوب المحبين عند السماع، وتخاف قلوب التائبين، وتلتهف قلوب المشتاقين"، وقيل "مثل السماع مثل الغيث، إذا وقع على الأرض أصبحت خضرة، كذلك القلوب الزكية الطيبة، تظهر فتكون فوائدها عند

---

[1]- الونشريسي: المصدر نفسه، ج11، ص 29. أبي القاسم بن احمد البلوي التونسي البرزلي (ت 841هـ)، **جامع مسائل الاحكام لما نزل من القضايا بالمفتيين والحكام**، تحقيق، محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2002م، ج6، ص404.

[2]- الكتاني المرجع السابق، ص 194.

[3]- الونشريسي: المصدر نفسه، ج 11، ص29 .

[4]- الونشريسي: المصدر السابق، ج11. ص 34.عادل نويهض: المرجع السابق، ص 342.

[5]- الونشريسي: المصدر نفسه، ص 50.

السّماع"[1]، وغالبا ما يؤدي السماع الى الوجد[2]، مثلما حدث لذي النون المصري حينما دخل بغداد، فاجتمع اليه قوم من المتصوفة فأنشد قوّال بعد استئذانهم

صغير هواك عذّبني فكيف بي إذا احتكنا

وأنت جمعت في قلبي هوى قد كان مشتركا

أما ترثي لمكتئب إذا ضحك الخلّي بكى.

فقام ذا النون المصري وسقط على وجهه، عند سماع ذلك.

كما نجد أنهم لا يتكلفون في ذلك، وليس لهم وقت معلوم، ولا علاقة لهم بالملاهي، فغالبا ما يبدؤون بالقرءان الكريم وينتهون بذلك، ومنه نجد أن الوجد منه ما هو متعلق بالمتصوفة، نتيجة لتزكية نفوسهم وتصفية قلوبهم وربطها بالله سبحانه تعالى، فغالبا ما يكون الوجد او التواجد بسبب الشوق والاشتياق، أي انها حركات اضطرارية[3]، وهناك الوجد فيه التخنث والتصفيق، وهو للجهلة الذين يدعون التصوف ويتشبهون ويدعون أنهم منهم، أي حركات متعمدة، وسئل ذو النون المصري (ت 245هـ) في ذلك، فقال وارد يزعج القلوب إلى الحق، فمن أصغى إليه بحق تحقّق، ومن أصغى إليه بنفس تزندق ، وقال بعضهم: لا يحسن السماع إلا لمن فنيت حظوظه، وبقيت حقوقه، وخمدت شرّته[4]،وقد اتخذ الكثير ممن يدّعي التصوف هذه الطريقة لأغراض فاسدة دنياوية، من اجل المال والجاه، ومحادثت النساء[5]

---

[1]- البرزلي: المصدر السابق، ج6، ص 411.

[2]- الوجد: ما يصادف القلب ويرد عليه من بلا تكلف وتصنع، انظر البرزلي: المصدر السابق، ص 412. محمد نوري: **ردود على شبهات السلفية**، مطبعة الصباح، د ب، 1987م، ص 52.

[3]- محمد نوري: المرجع نفسه، ص 47.

[4] - إبراهيم بن هلال (ت 903هـ): الرد على من اتخذ الشطح والرقص عبادة، تحقيق عبد الله الهلالي، مكتبة العلوم والحكم، 2014م، ص 123.

[5] - إبراهيم بن هلال: المصدر نفسه، ص 134.

ومنها المتعلق بإتخاذ الشيخ هل هي واجبة ...؟، فغالبا ما كان الجواب على ضرورة اتخاذ الشيخ "...لازم لا يسع أحدا انكاره وكان هذا من الأمور الضرورية..."[1]، ويرى ابن خلدون انه يجب على المريد صحبة الشيخ "[2]،فالشيخ يكون من جملة الأسباب التي يتولّى الله بها العبد..."، قال الله تعالى " فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون"[3]، بالإضافة المسألة المتعلقة بالكرامات وهل هي باطلة ام حق يجب تصديقها ...؟، فكانت الإجابة بأن الكرامات لا تظهر الا من كانت صلاح الدنيا على يديه، قال تعالى " واتّقوا الله ويُعلمكم اللهُ ، والله بكل شيء عليم"[4]، وعرف بالتقوى والتمسك بالكتاب والسنة، ولا ينكرها الا مبتدع، وجميع اهل الحق جوّز ذلك في حق الأولياء ومنهم الشيخ ابن سعيد العقباني، الذي قال نقلا عن المحققين السنيين، " ...أنّكل ما ثبت معجزة فيحق النبي صلى الله عليه وسلم، يصح أن يكون كرامة في حق الولي ..."[5]،وهذا ما يؤكد إنتشار التصوف الطرقي (العملي)، في الفترة الزيانية مقارنة بالتصوف الفلسفي (النظري)، خاصة خلال القرن الثامن والتاسع وما كترة المسائل والفتاة خير دليل على ذلك، وهذا لا شك راجع الى دخول العوام في التيار الصوفي[6]، ممّا ألتبس على الكثير التمييز بين المتصوفة ومن يدعي ذلك وبين الكرامة ومن يمتهن السحر والشعوذة، عكس القرن السابع الذي عرف تميز متصوفته بالعبادة وفضائل الأخلاق.

[1]- انظر الونشريسي: المصدر السابق، ج 12، ص 295 -309.

[2]- إبن خلدون: شفاء السائل، المصدر نفسه، ص 239.

[3]- النحل/ 43.

[4]- البقرة/282.

[5]- انظر الونشريسي: المصدر السابق، ج2، ص 387- 393.

[6]- عبيد بوداود: المرجع السابق، ص 123.

المبحث الثاني: إسهامات المتصوفة في الحركة العلمية.

عُرفت الدولة الزيانية بازدهار منقطع النظير في المجال الثقافي، ما أدّى الى انتشار المدارس والمعاهد والكتاتيب وحتّى الزّوايا التّعليمية، وذلك راجع لتأثير المتصوفة على المجتمع والسلطة منذ القرن السابع للهجرة الى غاية سقوطها.

المطلب الأول: دور المتصوفة في التعليم.

يُعتبر التّعليم من العوامل الأساسية والضرورية الحتمية لازدهار أي دولة ونشر الثقافة بين أفراد المجتمع[1]، وترقيته وتقدمه وازهاره وتطوره، فهو الحجرة التي تدفع الحركة العلمية وتو سع رقعتها وعمقها[2]، وهو ما الذي أدركه المتصوفة، وجعلهم يهتموا بالتعليم، فتهافت الأباء في إرسال أبنائهم لتعلم العلم الظاهر، ليمتهنوا الوظائف السّامية، فأخذو العلم في الكتاتيب والمساجد والزوايا والمدارس: وكان للسّلاطين دورا مهم في ذلك، فالسلطان يغمراسن مثلا، كان يحضر مجالس العلم ليسمع الدروس التي تُلقن من للطلبة من الشيخ، ويشجعهم على التدريس والتأليف، ودروس أبي إسحاق إبراهيم بن خلف بن عبد السلام التنسي(ت 680هـ/1282م)[3]، الذي كان حتّى كبار رجال الدولة والفقهاء يحضرون دروسه، مما أدّى إلى تطور في الهياكل التعلمية وكثرتها، وأصبح التعليم أكثر تنظيما خاصة في تقسيم بين الفئات العمرية، فانقسم إلى ثلاث أنواع:تعليم للصبيان، وتعليم الطلبة الشباب.

المرحلة الأولى/ (تعليم الصبيان): كان للذين بلغوا سن السابعة، يتعلمون في الكتاتيب، الصلاة، ومبادئ عقائد الايمان، وشهور العربية والقنوت والتشهد، قصر السور[4].

---

[1]- فيلالي: المرجع السابق، ج2، ص 338.

[2] - محمد الشريف سيدي موسى: مدينة بجاية الناصرية دراسة في الحياة الاجتماعية والفكرية، تقديم محمد الأمين بلغيت، دار كرم الله، الجزائر، 2011، ص 79.

[3]- محمد بن عمرو الطمار: **تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص 94.

[4]- أحمد بن أبي جمعة المغراوي (ت 920هـ): **جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين واباء الصبيان**، تحقيق أحمد جلولي البدوي ورابح بونار، الشركة الوطنية، الجزائر، د ت، ص 47.

المرحلة الثانية/ (تعليم الطلبة الشباب)[1]: كانوا في المساجد الزوايا والمدارس، فيتعلمو الحديث، اللغة العربية والتفسير، واصول الفقه، والحساب، والفلسفة والمنطق، خاصة بعد توافد الجالية الاندلسية.

التعليم الشعبي: ويعنى به التعليم الذي يعلم عموميات المعارف الدينية، ودروس الوعظ، للبالغين والبالغات[2].

فنجد أنّ المعلم الصوفي لم يكن يقبض اجره، رغبة منه، بينما نجد بعض الاخر يتلقى الاجر من الأباء ميسوري الحال، بينما كان ابي اسحاق التنسي ينفق على طلبته الذين يدرسون عنده[3].

وكان لكل مدرس طريقته في التدريس والعلم الذي يبرع فيه، فدرّس أسحاق بن إبراهيم التنسي(ت686هـ/1289م) الفقه، وأحمد بن زاغوا المغراوي (ت 899هـ/1494م)[4]، في التفسير وغيرهم. وكان يعاملهم بين الشدة واللين، في حين يتشدد في إلتزام الطلبة بأخلاقيات. وهو ما أدّى الى ظهور وانتشار المدارس مطلع القرن الثامن للهجرة، ودعمت من قبل سلاطين الدولة، والتجار الميسوري الحال ومن الاحباس، فقد بلغ عدد المدارس[5] نهاية القرن التاسع للهجرة، خمسة على الأقل وعدد المساجد حوالي ستون مسجدا[6]، وزوايا التعليمية، وامتدت المؤسسات التعليمية إلى الأرياف الدولة الزيانية، رغم فترة الضعف التي كانت تمر بها، كتدريس أحمد بن شريف الادريسي[7] القرءان، والرسالة والعقائد فيالريف، جنوب تلمسان[8]، ما يؤكد الدور المؤثر والفعال للمتصوفة في تكوين وتدريس واقبال الطلبة عليهم للتعلّم.

---

[1] – التعليم الاحترافي انظر فيلالي: المرجع السابق، ج2، ص 243 -250.

[2]– فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 342.

[3]– طاهر بونابي: المرجع السابق، ص 234.

[4] – نجيب بن لمبارك: المرجع السابق، ص 57.

[5]– انظر فيلالي: ص 141-149.

[6]– ابوا القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص34.

[7]– ابن مريم: المصدر السابق، ص 93.

[8]– مختار حساني: **الأحوال الثقافية في الدولة الزيانية**، المرجع السابق، ص 185.

- **المطلب الثاني: إسهامات المتصوفة في العلوم النقلية.**

ساهم المتصوفة في العلوم النقلية – التفسير والحديث والفقه واللغة والادب والتصوف وغيرها-بشكل وافر، نتيجة لتأثير هذه العلوم على عقول النّاس، وهو ما جعل اغلب العلماء يهتموا به، ومنهم المتصوفة، فتطورت هذه العلوم طيلة الفترة الزيانية.

الفقه: هي من الفهم والفطنة[1]، وإدراك الشيء ولعلم به[2]،ويعرّفه ابن خلدون "معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحذر...وهي متلقاة من الكتاب والسنّة وما نصبه الشّارع لمعرفتها من الأدّلة ..."[3]،وهو علم قائم بذاته، له مصادره وقواعده وموضوعاته[4]،وهو مرتبط بحياتهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية، فاهتموا بكتب الفقه المالكي وتوجيه الطلبة إليها، خاصة مدونة الامام سحنون، ومختصر لابن أبي زيد القيرواني (ت 386هـ)[5]، والمدونة الكبرى للإمام عبد الرحمان بن قاسم(ت 191هـ)وجامع الأمهات مختصر ابن الحاجب الفقهي، للإمام عثمان بن ابي بكر (ت 646هـ/1249م)، بالإضافة الى مساهمتهم الخاصة، فأبوا إسحاق بن يخلف التّنسي الذي كانت تأتيه الفتوى من بلاد إفريقية كلّها وألّف كتاب " شرح تلقين القاضي عبد الوهاب"و" شرح الحاصل في عشرة أسفار"[6]، وأبو عثمان سعيد بن محمد العقباني(ت 811هـ/1409م)، الذي الفّ كتاب "شرح جليل على ابن حاجب"[7]، وأبوا عبد الله بن مرزوق الخطيب (ت 781هـ/1370م) له العديد من التأليف في الفقه منها: "إزالة الحاجب لفروع ابن الحاجب"، وابن مرزوق الحفيد (ت 842هـ/1439م) له:" المسائل الفقهية" و" شرح الطهارة"

---

[1] – احمد رضا: **معجم متن اللغة**، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1960م، ج4، ص 438.

[2] – أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة، 1972، ص442.

[3]– ابن خلدونّ: العبر، المصدر السابق، ج1، ص 563.

[4] – محمد الشريف سيدي موسى: المرجع السابق، ص 129.

[5]– ابن خلدون: االعبر، لمصدر نفسه، ج1، ص 569.

[6] –انظر فيلالي: المرجع السابق، ص 448-551، محمد بن محمد مخلوف: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، المطبعة السلفية، القاهرة،1314هـ، ص 249.

[7] – نجيب بن لمبارك: المرجع السابق، ص 43.

و"أرجوزة في الميقات"[1]،ومنهم أبو الحسن علي الشهير بابن الزيات، كان حافظا لمذهب الامام مالك، كانت تُقرأ عليه مختلف كتب الفقهية[2]، وغيرهم.

علم القرءان والتفسير: اهتم المتصوفة بهذا العلم وفصّلوا فيه[3]، فدرسوه في مختلف المؤسسات التعليمية، فبرز في هذا العلم، أبو عبد الله بن أبي بكر بن مرزوق، فعرف بحسن صوته وطيبة نغمته، وأبو الحسن علي الشُّشتري[4]، وأبو العباس أحمد بن عبد الرحمان المعروف بابن زاغوا(ت 845هـ/1442م)،فألّف مقدّمة في التفسير وتفسير الفاتحة، ومحمد بن يوسف السنوسي (ت 895هـ/1490م)، الذي ختم تفسير القرءان كله، وعبد الرحمان الثعالبي، ألف كتابا سماه "جواهر الحسان"[5]، وله كتاب في تفسير سورة ص وما بعدها من سور،وقاسم العقباني، له مصنّف في تفسير سورتي" الانعام والفاتحة"و "الفتح"[6]، ومحمد بن احمد الادريسي قال عنه صاحب البستان:" فسّر القرءان خمس وعشرين سنة، أتى فيه بعجب العجاب..."، مما يدل على نبوغه فيعلم التفسير ومحمد بن عبد الكريم المغيلي(ت 909هـ1503م) وكتابه" البدر المنير في علم التفسير"[7]، رغم قلة المهتمين بالتفسير في عصر هذين الأخيرين.

علم الحديث:وهو علم الدراية، يقوم على التمحيص والنقد لمعرفة حقيقة الرواية وشروطها والرد وفقه النص[8]، وحفظ ما نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو متفرع ومتنوع، اهتم به متصوفة العهد

---

[1]- بدر الدين محمد بن يحي عمر القرافي: **توشيح الديباج وحلية الابتهاج**، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1،2004م، ص154 محمد مخلوف: المرجع السابق، ص 252.

[2]- محمد الطّمار: **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**، الشركة الوطنية، الجزائر، 1983م، ص 182.

[3]- انظر بن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج1، ص 552-556. محمد الطمّار: تاريخ الأدب الجزائري، المرجع السّابق، ص 216-219.

[4]- المقّري: المصدر السابق، ج2، ص 185.

[5]- أبوا القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص 115.

[6]ابن فرحون: المصدر السابق، ص205.القرافي: المصدر السابق، ص 152.

[7] - مبخوت بوداود: **دور علماء تلمسان الزيانية في ترسيخ الحضارة الإسلامية بالسودان الغربي (15-16)**، مجلة الواحات، العدد 1، ديسمبر،2006، ص2.

[8]- حسن محمد المشاط، **التقريرات السنية شرح المنظومة البيقونية في مصطلح الحديث**، تحقيق فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط5، 2003م، ص 9.محمد باي بلعالم، **كشف الدثار شرح على تحفة الاثار**، مطبعة عمار قرفي، باتنة، د ت، ص17، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج1، ص 556-562.

الزياني، فدرّسوا أمهات الكتب، "الموطأ" لإمام أبي عبد الله محمد مالك بن أنس (ت 179هـ)، و"المسند الصحيح" و"الجامع"، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256هـ)، و"جامع" أبي عيسى محمد الترمذي (ت 279هـ)، كما برعوا في ذلك بتأليفهم فيه وتصويب ما عن القدامى، فألّف أبو الحسن الششتري كتاب " العروة الوثقى في بيان السنن واحصاء العلوم وما يجب على المسلم إن يعلمه ويعتقده "[1]، وبن ابي بكر بن مرزوق (ت 681هـ/1283م)، وتلميذه أبي زكرياء يحي بن صقيل، الذين كانوا ملمين بالحديث، وأبي إسحاق التنسي، الذي شرح كتب الحديث وكانت له دروس خاصة في ذلك، وأبو عبد الله محمد بن مرزوق الخطيب، الذي ألّف العديد في علم الحديث[2] وابن مرزوق الحفيد (ت 842هـ/1439م)[3]، متزعم السلفيين الذي عرف بجداله مع سعيد العقباني (ت854هـ/1450م)، فألف كتاب "المتجر الربيح والمسعى الرّجيح والمرحب الفسيح في شرح الجامع الصحيح "وكتاب " أنواع الدرارى في مكررات البخارى"[4]، ومحمد السنوسي[5]، الذي برع في كتب الحديث مما جعله محل إشادة من العلماء والشيخ المغيلي (ت909هـ/1503م) بكتابه" مفتاح النظر في الحديث"[6].

اللغة والأدب: فعرفه ابن خلدون أنّه "بيان الموضوعات اللغوية"[7]، لفساد اللسان العربي، فاهتم المتصوفة بها اهتماما بالغا، لأنها لسان القرءان وارتباطها الوثيق بالدين فإدراكها يزيح اللبس والمطموس، بينما الادب فعُرف بأنّه العلم الذي لا موضوع له وإن الغاية منه هو الاجادة في المنظوم والمنثور[8]، واعتنى الزيانيون بهما، من خلال تدريسهم لأمهات الكتب ككتاب" الكتاب " لسيبويه، و"الإيضاح" لأبي علي

---

[1]- المقّري: المصدر السابق، ج 2، ص 186.

[2]- انظر بن مرزوق: المصدر نفسه، ص 90-91.

[3] عادل نويهض: المرجع السابق، ص 290.

[4]- القرافي: المصدر السابق، ص154 .

[5] - سعيد عيادي: **موقع تلمسان في تاريخ المدارس الفكرية في العالمين العربي والإسلامي**، دار بن مرابط، د ب، 2011م، ص 211.

[6]- بابا احمد التنبكتي: كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج2، ص10. محمد مخلوف: المرجع السابق، ص 253.

[7]- إبن خلدون: العبر ، المصدر السابق: ، ج1، ص 756.

[8]- ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج1، ص 763.

الفارسي وغيرهم، ونظرا لأهمية اللغة والادب، كانت تقام مناظرات وجلسات بين الادباء وعلماء اللغة، لمنع للسان من اللّحن، وحتى لا تفسد اللغة، فقد كان أبوا عبد الله الشريف (ت 858هـ/1454م)، يدرس الطلبة العديد من علوم العربية، وكان يحضر له كبار الفقهاء، فلقّن الفية والتسهيل لابن مالك، وصنّف مختصرا في شرح التسهيل الثاقب سمّاه " الثاقب في لغة ابن الحاجب"[1]، ولإبن مرزوق الحفيد كتاب" إيضاح المسالك في شرح الفية ابن مالك"[2]، ومحمد السنوسي الذي ألّف " الدار المنظوم في شرح قواعد ابن أجروم"[3]، فغالبا ما نجد أن المتصوفة، جمعوا بين اللغة والادب وهو ما جعلهم يبدعون في كتاباتهم فكتبوا الاشعار والقصائد في مختلف المجالات، الشوق، الحنين، الوهد، المدائح، التوسلات، والحب الإلهي، ومنأبرز المتصوفة في اللغة والادب والشعر هذا محمد بن خميس التلمساني[4]، وأبو عبد الله ابن الحجام التلمساني، وأحمد بن زاغوا[5]، والقاسم بن سعيد العقباني، ومحمد بن إبراهيم التازي[6]، ومن كلامهم في الحب والهوى:

أبت مهجتي إلاّ الولوع بمن تهوى فدع عنك لومي فالنفوس وما

هوان الهوى عزّا وعذب أُجَاجُه وعلقمًه أحلى من المنّ والسّلوى ...

ومن لم يجد بالنّفس في حُبّ حبّه فلوعته إفك وصبوته دعـوى

وليس بحرّ من يعبّده الهوى للهو الدنا فاختر لنفسك ما تهوى[7].

المطلب الثالث: إسهامات المتصوفة في العلوم العقلية.

اهتم متصوفة الدولة الزيانة بالعلوم العقلية مثلما إهتموا بالعلوم النقلية، وذلك لأنها توافق

---

[1]- ابن مريم: المصدر السابق، ص 239.

[2] - القرافي: المصدر السابق، ص 154.

[3]- فيلالي: المرجع السابق، ص 455.

[4]- ابن فرحون: المصدر السابق، ص114 .المقّري: المصدر السابق، ج7، ص131.أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج2، ص 69، فيلالي: المرجع السابق، ج2، ص 401.محمد الطمّار: تاريخ الأدب الجزائري، المرجع السابق، ص222-241.

[5]- القلصادي: المصدر السابق، ص 102.

[6]ابن مريم: المصدر السابق، ص 150

[7]- ابن مريم: المصدر نفسه، ص 150.

طبيعةالانسان، لنزعته الإنسانية ولكون الحكمة تدرك بالعقل[1]، وهو ما جعل المتصوفة يتقنونها، ولو أنّها لم تشهد نفس الاقبال من العوام، فيعتبر العقل نهاية المعرفة وإصابة الفكرة[2].

علم الرياضيات: عرّفها ابن خلدون" معرفة خواص الاعداد من حيث التأليف إمّا على التوالي أو بالتضعيف..."[3]، ولها عدة فروع،فبرز في هذ العلم، العلامة الموسوعي محمد بن يوسف السنوسي ألف في مختلف العلوم العددية، ككتاب المسمّى" المقرب المستوفي" ألّفه وهو لا يتجاوز التاسعة عشرة من عمره[4]، والشيخ محمد بن هبة الله شقرون (ت 967هـ/1561م)، كان إماما بتلمسان ومفتيا، عرف بعلم الحساب والفرائض والبيان والمنطق والتفسير[5]، وسعيد بن محمد العقباني (ت 811هـ/1409م)، شرح كتاب الحوفي في الفرائض، وتلخيص قصيدة ابن الياسين في الجبر والمقابلة ووضع نظما في الفرائض[6]،ونفس الكتاب شرحه محمد بن يوسف السنوسي، وعلى القلصادي(ت 791هـ/1389م)، له كتاب"كشف الجلباب عن علم الحساب"، و" قانون الحساب في مقدار التلخيص" وأحمد الحباك" تلخيص اعمال الحساب" و"منتهى التوضيح في عمل الفرائض من واحد الصحيح"[7].

نجد أن المتصوفة نبغوا في مختلف العلوم العددية فألّفو فيها وصحّحوا ما زاغ فيه الأخرون، ولا شكّ أنّ حتى أهل الإختصاص لم يهتموا مثلما اهتم هؤلاء، ممّا أعطى دفعة لإزدهار الحياة الفكرية والثقافية للدولة الزيانية.

المنطق:هو" قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود المعروفة للماهيات، والحجج المفيدة للتصديقات"، انتشر في اصقاع المغرب الإسلامي عموما، بفضل ترجمة كتب اليونانية من طرف

---

[1]- ابوا حامد الغزالي: المصدر السابق، ج1 ص 19.

[2]- ابي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي (ت 450هـ): أداب الدنيا والدين، دار الفكر، بيروت، 2005م، ص 11.

[3]- ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج1، ص634.

[4]- فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 474،

[5]- التنبكتي: المصدر السابق، ص 599.ابن مريم: المصدر السابق، ص 448.الكتاني: المرجع السابق، ج3، ص 357.

[6]- ابن فرحون: المصدر السابق، ص 205.محمد مخلوف: المرجع السابق، ص 250.

[7]- فيلالي : المرجع السابق، ج2، ج2

المسلمين، فأنكر الفقهاء هذا العلم، وعدّ من العلوم المذمومة، حتّى العهد الموحدي الذي شهد عناية بالمنطق وبفكر الامام الغزالي[1]، وذلك بعد عودت المهدي بن تومرت من المشرق ودراسته على الامام الغزالي حسب قوله، الذي أفتى بأنّ من لا يعرف لمنطق، لا يوثق بعلمه[2]، فانتشر هذا العلم في المغرب الاوسط خلال القرن السابع للهجرة، بانتشار كتب الغزالي، ومن الذين برزوا في هذا العلم:

ابن مرزوق الحفيد (ت 842هـ/1439م)، بكتابه" المفاتيح المرزوقية في استخراج رموز الخزرجية[3]"[4]، ومحمد بن عبد العباس (ت 871هـ/1467م)، بكتاب شرح "جمل الخونجي)[5]، نفس الكتاب شرحه سعيد العقباني (جمل الخونجي)[6]، ومحمد بن عبد الكريم المغيلي، وكتابه " منح الوهاب" وثلاث شروح أخرى، ومناظرته الشهيرة مع السيوطي في المنطق وبين له فوائده ومميزاته[7]،ومحمد بن يوسف السنوسي الذي الّف وأبدع في العلم بكتبه المتعددة فيه منها: شرح ايساغوجي البقاع، -شرح السنوسي لمختصر في المنطق،- مختصر في علم المنطق،-شرح جمل الخونجي في المنطق[8]،-شرح مختصر بن عرفة[9].

ورغم ذلك نجد أنّ هذا العلم لم يهتم به اغلب العامة وحتى المتصوفة مقارنة بالعلوم الأخرى، كالحديث واللغة والتفسير والفقه، الا الفئة القليلة كالشيخ السنوسي، ومحمد بن عبد الكريم المغيلي، وسعيد بن محمد العقباني. كما يتضح لنا مدى موسوعية المتصوفة الذين كانوا ملمين بمختلف العلوم العقلية والنقلية، رغم عصرهم الذي غلب عليه الانحطاط والركود الثقافي كما هو الوضع مع عبد الرحمان الثعالبي، وخاصة

---

[1]- عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ص 471.

[2]- عبد المجيد النجار: المرجع نفسه، ص 471.

[3]- عبارة على طلاسيم يصعب فهمها وحلّها.

[4]- ابن مريم: المصدر السابق، ص 376.

[5] - ابن مريم: المصدر نفسه، ص 394.

[6] - إبراهيم بن نور الدينبن فرحون المالكي(ت 799): الديباج المذهب في معرفة اعيان وعلماء المذهب، تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م، ص 205.القرافي: المصدر السابق، ص 153.

[7]- مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص 3.

[8]- أبو عبد الله السنوسي: المصدر السابق، ص 9.

[9]- عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج2، ص 478.

محمد بن يوسف السنوسي[1]، الذي اشتهر بكتاباته في مختلف الفروع المعرفية شرحا كان او تعليق، لمنظومة، او لمتن، وفي شتّى العلوم والمعارف.

[1]- انظر سعيد عيادي: المرجع السابق، ص 183-205.محمد الأمين بلغيث دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي، دار التنوير، د ب، ص :89

الفصل الثالث: نماذج من متصوفة العهد الزياني.

- **المبحث الأول: الشيخ الحسن أبركان.**
- ✓ **المطلب الأوّل: التعريف به وبنسبه.**
- ✓ **المطلب الثاني: حياته العلمية.**
- ✓ **المطلب الثالث: زهده وكراماته.**
- **المبحث الثاني: الشيخ محمد بن يوسف السنوسي.**
- ✓ **المطلب الأول: التعريف به وحياته العلمية.**
- ✓ **المطلب الثاني: إسهاماته الفكرية.**
- ✓ **المطلب الثالث: صفاته الخُلُقية وكراماته الربّانية.**

- **المبحث الأول: الشيخ الحسن أبركان.**

إرتأيت في هذا الفصل أن أركّز على بعض المتصوفة الذين اشتهروا في العهد الزّياني، وعرفوا بعلمهم وعملهم، وبكراماتهم التي عرف بها لاستقامتهم وتقاهم مثلما هم كذلك.

المطلب الأول: تعريف به وبنسبه.

هو الحسن بن محلوف بن مسعود بن سعد المزيلي الراشدي، أبوا علي، الشهير بأبركان[1]، التي تعني بالبربرية الأسود[2]، عرف بالعلم والولاية والصلاح، والقطبية والغوثية[3]، لم يذكر السنة ولادته، أمّا فيما يتعلقبوفاته، فكانت سنة857هـ/1464م، ما عدا صاحب تعريف الخلف الذي ذكر 807هـ/1405م[4]، سنة وفاته.

نسبه: ينتمي الشيخ سيدي الحسن ابركان، إلى قبيلة مزيلة، التي تعد إحدى فروع بني راشد البربرية، التي يسكنها أشرف الناس وأثرائهم[5]، ويذكر الشيخ الحسن ابركان، أنّه سمع نسبه من إحدى أكابر أولياء الله تعالى قائلا" وقد ذكر لي الولي بطريق المكاشفة جميع أحوالي ...، ومن جملة ما ذكر لي الولي، نسبي، وقال: نسبكم هو صريح لم يسبق فيه رق..."[6]، ممّا يدل على اهتمام المتصوفة والمؤرخين بالنسب، إلّا أنّه لم يذكر لنا إلى من يرفع نسبه، ويذكر الشيخ علي بن محمد التّالوتي(ت895هـ/1490)[7]، أنّ الشيخ أبركان، أخبره عن صلاح أجداه وآبائه، فظهرت عليهم علامات وكرامات، منها كطي الأرض لجده سيدي السعيد، ومنها سماعه الزجر من قبري جدّه حينما كان يلعب مع الأولاد، ويتجرد من ثيابه مثلهم، ولا ريب، أنّ الشيخ ظهر امره، من صلاح، وترفعه من فسافس الأشياء منذ طفولته.

---

[1]- ابن مريم: المصدر السابق، ص 169، التنسي: المصدر السابق، ص 248. القلصادي: المصدر السابق، ص 108. محمد مخلوف: المرجع السابق، ص 262.

[2]- الحفناوي: المصدر السابق، ص 339، عادل نويهض: المرجع السابق، ص 14.

[3]- هو عبارة عن الواحد الذيهو موضع نظر الله في كل زمان أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه، وهو من افرده الله بجلاله واجمعت فيه مقامات الإيمان والأحوال ودرجات اليقين، الجرجاني: المصدر السابق، ص 149، القاشاني: المصدر السابق، ص 61.

[4]- الحفناوي: لمصدر السابق، ج2، ص 138.

[5]- مارمول كاربخال: المرجع السابق، ج2،ص 324.

[6]- ابن مريم: المصدر السابق، ص 184.

[7]- أخ الشيخ محمد بن يوسف السنوسي من الام، ومن أصحاب الشيخ أبركان، عادل نويهض: المرجع السابق، ص 57.

إستوطنت عائلته تلمسان في مدينة المنصورة[1]، التي بناها السلطان المريني، يوسف بن يعقوب بن عبد الحق سنة (702هـ)، يقول عنها ابن مرزوق في كتابه المسند:"...لم ير الرّاؤون مثلها، ولا وصف الواصفون مثل وصفها..."[2]، فكانت أمّه تخبره عن موضع بيتهم، وتعمير النّاس لها.

وكان الشيخ شديد البر لأمه، يهتم بها كثيرا، ويحافظ على لباسها ويغسلهم وينظفهم، حتّى فراش الذي تجلس عليه، ومن حرصه الشديد عليها وصل به الامر الى عدم المبيت معها في بيت واحد، فكان يرى ذلك من سوء الأدب[3].

فلم تذكر لنا اغلب المصادر عن علاقة الشيخ بأبيه، ما عدا ما ذكره الشيخ علي ين محمد التّالوتي، التي تبين طاعة الشيخ لأبيه والكرامات التي بدت عليه، رغم صغر سنّه، منها مكوث سيدي الحسن في الروضة بأمر من أبيه، الذي إنصرف لأداء صلاة الجمعة، واستغلال أحد رجال البادية،

وجوده وحيدا للسرقة، قال:" صحت عليه لأزجره على الخيانة، مع صغر سنّي جدّا..."[4] توفي آخر شوال سنة بيع وخمسين وثمانمائة[5].

المطلب الثاني: حياته العلمية.

اخذ الشيخ الحسن أبركان العلم على عدد من العلماء، فلا شك أن وفات اباه كانت السبب في ترحاله ذلك، وللإضطرابات السياسية التي شهدتها المنطقة، فارتحل إلى الشرق، تحديدا إلى بجاية، أين تتلمذ على علمائها منهم:

سيدي عبد الرحمان الوغليسي[1]:من بجاية، ولد سنة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المهدي، المشهور بالاصولي[2]، نشأة وتعلم في بجاية، عرف بالفقه والأصول، والكتابتين الأدبية والشعرية.

---

[1]بنيت أثناء الحصار الطويل على تلمسان، الذي استمر مئة شهر، كانت من أبهى الحواضر الملكية وأجملها، شملت القصور والمدارس والمساجد والحمامات والجنات والديور الانيقة والمغاني الرفيعة، أحمد القاضي المكناسي (960هـ/1025): جذوة المقتبس في ذكر من حلّ من الاعلام مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، 1973م، ص 63، التنسي: المصدر السابق، ص 190، يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص 210-211.

[2]- ابن مرزوق: المصدر السابق، ص 447.

[3]- ابن مريم: المصدر السابق، ص 187.

[4]- ابن مريم: المصدر نفسه، ص 186.

[5]- التنبكتي: نيل الابتهاج،المصدر السابق، ص 161، التنبكتي: كفاية المحتاج، المصدر السابق، ص 189، بوزيان الدّراجي: أدباء وشعراء من تلمسان، دار الامل، الجزائر، 2011، ج1، ص 352.

أبي عبد الله المراكشي: هو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان المراكشي الضرير، من بونة[3]، توفي سنة سبع وثمانمائة للهجرة.وبعدما درس الشيخ في كل من بجاية وقسنطينة، رجع إلى تلمسان لينهل من العلم على يد أكابر علمائها منهم:

الشيخ إبراهيم المصمودي: هو إبراهيم المصمودي، عرف بالعلم والصلاح والولاية والزهد[4]، "كان ممن اوتي الولاية صبيا، وحلّ رياسة العلم والزهد مكانا عليا..."[5]، المتوفى سنة خمس وثمانمائة ودفن فيروضة بني زيان.

الشيخ سيدي يحي المطغري[6].

الشيخ سعيد–ولا ريب في انّه جده–الذي قرأ عنده فرائض الشيخ الحوفي[7].

الشيخ سيدي عيسى امزيان، والد بن محمد التّالوتي.

وابن مرزوق الحفيد: محمد بن احمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي التلمساني، أبو عبد الله الحفيد (766-842هـ/1365-1439م)، فقيه، مجتهد، محدث، نحوي، أصولي، مفسر، عروضي، بياني، زاهد، وارع، تعلم اغلب الفنون[8]. قال عنه الحفناوي: "...الجامع بين المعقول

---

[1]- الوغليسي:نسبة إلى بني وغليس بطن من قبائل الامازيغ في جنوب بجاية بأعلى وادي سمام، الغبريني: المصدر السابق، ص 282. عادل نويهض: المرجع السابق، ص 342.

[2]- التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 378، الحفناوي: المصدر السابق، ج2، ص535.

[3]- إبن العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب الشهير بابن القنفذ(ت 809هـ،1306م): **الوفيات**، تحقيق عادل نويهض، دار الافاق الجديدة، بيروت، 1983م، ص 384، التنبكتي: نيل الابتهاج، ص 223. التنبكتي: كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج1، ص 244.

[4]- ابن مريم: المصدر السابق، ص 153، بوزياني الدراجي: المرجع السابق، ص 349.

[5]- التنبكتي: المصدر السابق، ص 54. محمد مخلوف: المرجع السابق، ص 249.

[6]- ابن مريم: المصدر السابق، ص 188.

[7]- ابن مريم: المصدر نفسه، ص 189.

[8]- انظر شمس الدين محمد بن عبد الله السّخاوي(ت902هـ):**الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992م، ج7، ص 50. التنبكتي: المصدر السابق، ص499. القلصادي: المصدرالسابق، ص 96. التنسي: المصدر السابق، ص 14-15. الحفناوي: المصدر السابق، ج1، ص 125. ابن مريم: المصدر السابق، ص 366. عادل نويهض: 290.

والمنقول والشريعة والحقيقة بأول محصول، شيخ الشيوخ وأخر النّظار الفحول، صاحب التّحقيقات البديعة والاختراعات الأنيقة، والأبحاث الغريبة، والفوائد الغزيرة...".

فالمصادر لم تفصّل لنا عن نوعية العلوم التي أخذها من كل شيخ، لكنها ذكرت، العلوم التي كان يتقنها ويدركها، منها: علم الفرائض، والحساب،والفقه، وألفية بن مالك في النحو، والرسالة، التي كان يستخرج ويستنبط منها منطوقا ومفهوما، فكان شديد الحرص على النّقل الصحيح السلام،

وكان له أسلوب مميز في نقل وفهم المعلومة، ممّا جعله قبلة لكثير من المشايخ[1]، كان يعظم العلم تعظيما، ولا يخاف في الله لومة لائم، ولا يخشى السلاطين والحكام، الذين يحضرون مجلسه، مع جملة طلبته تلامذته منهم:

الحافظ التنسي (ت 899هـ/1494م):محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي التلمساني، من أكابر العلماء، الحافظ، المؤرخ، الاديب، الشاعر[2]،قال عنه أحد علماء الأندلس: "العلم مع التنسي، والصلاح مع السنوسي..."[3].

محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي (ت 895هـ/1489م):

العالم في مختلف العلوم العقلية والنقلية[4]. وكان الشيخ يقول له:" جعلك الله من الأئمة المتّقين"[5].

علي بن محمد التّالوتي الأنصاري أبو الحسن (ت 890هـ/1490م): أخ محمد بن يوسف السنوسي، ومن أصحاب الشيخ.[6]

فقد تتلمذ عليه خيرت العلماء الذين كانوا لهم شأن عظيم فيما بعد، وعرفوا بالصلاح والولاية، ومن خلال تلامذته، يتضح لنا مكانة الشيخ ابركانالعلمية والصوفية.

---

[1]- ابن مريم: المصدر السابق، ص 190.

[2]انظر التنسي: المصدر السابق: ص 9. السخاوي: المصدر السابق، ج8، ص 120. التنبكتي: المصدر السّابق، ص572 . الحفناوي: المصدر السابق، ج2، ص 162. عادل نويهض: المرجع السابق، ص 85.

[3]- التنبكتي: المصدر السابق، ص 572.

[4]- انظر التنبكتي: المصدر نفسه، ص 563، الحفناوي: المصدر السابق، ج1، ص 177. عادل نويهض: المرجع السابق، ص 180، بوزياني الدّراجي: المرجع السّابق، ج1، ص355.سعيد عيادي: المرجع السّابق، ص 167.

[5]- التنبكتي: المصدر السابق، ص 161

[6]- التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 341. عادل نويهض: المرجع السّابق، ص57.

إسهاماته الثقافية: لقد كانت له اسهامات كثيرة ومتنوعة، تبين لنا مدى موسوعيته وقدراته العلمية والفكرية، منها: " المشرع المهيّأ فيضبط مشكل رجال الموطّأ"، " الزند الواري في ضبط رجال البخاري"، " فتح المبهم في ضبط رجال مسلم"، " الثّاقب في لغة ابن الحاجب"[1]، وتقييدا على فرائض الحوفي[2].

المطلب الثالث: زهده وكراماته.

كان الشيخ سيدي الحسن أبركان، من الذين بغضوا الدّنيا وأعرضوا عنها، تركوها بحثا عن راحة الاخرة، فخلى قلبه من حب الدنيا فزهدوا فيها، فمن زهده، كان يقتات من الطعام الذي يجه على الطرقات، مما يبرهن على فقره الشديد، ورغم ظلك لم يستغل شهرته ومكانته وهيبته لدى السلاطين والامراء، ليعيش حياة البذخ والترف، فعرف بكثرة الصوم والمداومة عليه، حتّى انّه كان لا يتناول إلاّ إجاصة في كل ليلة[3]، ونقل منشدة زهده، أنّه رمض عن الأكل أربعين يوما، ولا يكلم فيها أحدا، وينهض خلالها للصلوات فقط، ثم يعود مستلقيا على ظهره غائبا عن الخلق بحسّه، غارقا في عظمة الخالق ومشاهدة الحق[4]، رفض الافرشة اللينة النّفيسة المترفة، متشبثا ومتمسكا بالخشن منها، واعتبر الأولى عبارة عن حبّ الدنيا قائلا لهم:"...فإنّي قد نمت البارحة لما أدركت نفسي من لين الفراش، وجعلتموني في شبكة الدنيا في أخر عمري، بعد طول فراري منها...."[5]، امتنع عن الأكل من الزكاة والحبوس واموال السلاطين التي تقدم له،وترك أصحابه من ذوي المال والجاه لاختلاف وسوء النية به[6].

ومن كراماته رضي الله عنه، مجيء الأسد إليه أثناء وضوئه في الصحراء، فقعد على سبّاطه[1]، أو بساطه[2]، فلما فرغ من الوضوء، إلتفت للأسد قائلا له" فتبارك الله أحسن الخالقين"[3]، فطأطأ الأسد رأسه كالمسحي، ومضى سائرا.

---

[1]- عادل نويهض: المرجع السابق، ص 14.
[2]- ابن مريم: المصدر السابق، ص 189.
[3]- ابن مريم: المصدر نفسه، ص 192.
[4]- الجرجاني: المصدر السابق، ص 142.
[5]- ابن مريم: المصدر السّابق، ص193 .
[6]- ابن مريم: المصدر السّابق، ص 195.

ومنها: دخول الشيطان عليه في صورته التي هو عليها، فقام الشيخ إليه،فهرب، فتبعه وهو يؤذن، فما زال يهرب وهو يضرط، إلى أن غاب عنه،ونال من الشيخ تعب شديد من ذلك[4].

كذلك: ما حكاه أحد المجتهدين، في خروج أكلة له، في خده وطال أمرها، فأنهكته وأيس من الشفاء منها بعدما اتّسعت، فلقي سيدي أبي الحسن، راكبا الحمار، فأخبره بأمره العظيم، فنظر الشيخ لذلك، فبصق كفّه، فوضع ذلك البصاق عليها، فبرء على الفور، وبالأيام زال عنه ذلك الأثر[5].

ومن ذلك: حديث الكلب له، بعد عودته من المشرق، وخراب قريته، فسكن تلمسان وخرج الى قريته[6] معتبرا في اثارها، بينما هو منكسر الخاطر، يتساءل هل تعود القرية عامرة كما كانت سالفا، فنطق الكلب بلسان فصيح قائلا:" إلى يوم يبعثون"[7].

---

[1]- ابن مريم: المصدر نفسه، ص 170.

[2]- التنبكتي: نيل الابتهاج، ص 161. الحفناوي: المصدر السابق، ج2، ص 132.

[3]- المومنون/14.

[4]التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 162.ابن مريم: المصدر السابق، ص 171. الحفناوي: المصدر السابق، ج2، ص 340.

[5]-ابن مريم: المصدر السابق، ص 180.

[6]-قرية الجمعة الكائنة على وادي يسّر وكانت كثيرة العمران.

[7]- الأعراف/14. الحجرات/ 36. المومنون/100. الصّافات/144.

- **المبحث الثاني: الشيخ محمد بن يوسف السنوسي.**

يعتبر من اهم شخصيات المغرب الأوسط خلال القرن التاسع للهجرة، وأحد الجهابذة الذين خاضوا في مختلف العلوم، سواء كانت عقلية أو نقلية، بلغ صداه المشرق والمغرب، وقرأ كتبه مختلف الفئات، باختلاف علمهم ومكانتهم، وعدّ من أهم المراجع العلمية المعرفية والفكرية في العهد الزيّاني، إنّه العلامة الحبر الفهامة سيدي محمد بن يوسف السنوسي.

- **المطلب الأول: التعريف به وحياته العلمية.**

هو أبوعبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب[1]، السنوسي.

وهي قبيلة المعروفة بالمغرب[2]ولد سنة ثمانمائة وثلاثون (830هـ/1429م)، المتوفى سنّة ثمانمائة وتسعون للهجرة (890هـ/1485م)، يرجع نسبه إلى سيدنا الحسن بن علي بن أبي طالب، من قبل ام أبيه، وُصف بكل الصفات التي يتصف بها أهل العلم والصلاح-بالعالم والعابد والزّاهد والصّالح والعارف بالله[3]-قال عنه تلميذه الملالي، "... نشأ خيرا، مباركا، فاضلا، صالحا..."[4].

تتلمذ على العديد من اهل العلم والصّلاح منهم:

أبوه: يوسف بن عمر بن شعيب.

الشيخ سيدي الحسن أبركان: جالسه كثيرا وانتفع به وببركاته، كان يحبه كثيرا، ويدعوا له، قال عن ذلك الشيخ سيدي السنوسي: "...ولقد فرحت بدعاء كان يدعوا لي به الشيخ أذا سلمت عليه، فيقول: جعلك الله من الأئمة المتّقين، وأنا في ذلك صغير السنّ في أول البلوغ..."[5].

---

[1]- التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر السّابق، ص 563.التنبكتي: كفاية المحتاج، المصدر السّابق، ج2، ص 201. ابن مريم: المصدر السّابق، ص 412. القرافي: المصدر السابق، ص222، الحفناوي: المصدر السابق، ص 177. محمد مخلوف: المرجع السّابق، ص 266. بوزياني الدراجي: المرجع السابق، ج1، ص 355.

[2]- منطقة جبال بني سنوس تقيم بالجبال الواقعة على ضفاف المجرى الأعلى لنهر التافنة. سعيد عيادي: المرجع السابق، ص 167.

[3]-محمد مخلوف: المرجع السّابق، ص 266.

[4]- التنبكتي: المصدر السابق، ج2، ص 200. الحفناوي: المصدر السابق، ج1، ص178 .

[5]- ابن مريم: المصدر السابق، ص 198.

الشيخ نصر الزواوي (ت 826هـ/1422م)[1]:عالم صالح من الصلحاء الزهاد العباد، أخذ عنه اللغة العربية ولازمه كثيرا.

الشيخ العالم: محمد بن توزري الصنهاجي[2]: قال عنه الشيخ سنوسي:

"كان صالحا عالما بالمنقول والمعقول والحساب والفرائض والاوقاف والخط والهندسة وبكل علم..."، أخذ عليه، الفرائض والحساب[3].

أبو الحجاج يوسف بن أبي العباس أحمد بن محمد الشريف الحسني:

عُرف بالفقه والعلم والتحقيق، درس عنده القراءات السبع مرتين[4].

محمد بن أحمد بن أبي يحي التلمساني، الشهير بالحباك(ت867هـ/1463م):عرف بالفقه أخذ عنه الشيخ السنوسي، علم الاسطرلاب[5]وشرح ارجوزته المسماة، بغية الطلاب في علم الاسطرلاب.

محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي الشهير بالجلاب (ت 875هـ/1471م): فقيه في المذهب المالكي، ختم عنده المدونة مرّتين[6].

إبراهيم بن محمد بن علي اللنتي التازي (ت 866هـ/1462م): ألبسه الخرقة[7].

محمد بن العباس: قرأ عليه الأصول والمنطق والبيان والفقه[8].

أبو الحسن علي بن محمد التّالوتي (ت895هـ/1490م): هو اخوه من أمّه، كان من أكابر أصحاب سيدي الحسن أبركان قرأ عليه الرسالة في صغره[1].

---

[1]- السخاوي: المصدر السابق، ج10، ص 201. التنبكتي: المصدر السابق، ص 615. عادل نويهض: المرجع السابق، ص 167.

[2]- ابن مريم: المصدر السابق، ص 413.

[3]- التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص554 .

[4]- التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر نفسه، ص 630، ابن مريم، المصدر السابق، ص 413.

[5]- التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 543. ابن مريم: المصدر السابق، ص 389.

[6]- التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 552. الحفناوي: المصدر السابق، ص 123. عادل نويهض: المرجع السابق، ص76.

[7] Omar dib،**si tlemcen m'était conté ...ses savants et sessaints** ،ministére de la culture ،alger،2011 ، voulume8 ،p147. 166. سعيد عيادي، المرجع السابق، ص 414- ابن مريم: المصدر السابق، ص

[8]- ابن مريم: المصدر السابق، ص 413.

أبو القاسم الكنابشي: قرأ عليه، إرشاد أبي المعالي، والتوحيد[2].

عبد الرحمان بن مخلوف الثعالبي (ت 768هـ/1367م): الفقيه، المفسر، المحدث، عرف بالعلم والصلاح والدين[3]قرأ عليه الصحيحين، وغيرهما من كتب الحديث.

علي بن محمد بن علي القرشي البسطي القلصادي (815. 891هـ/1413–1486م): عرف بالفقه والعلم والصلاح[4]، قيل عنه:"كان عالما فاضلا صالحا، شريف الاخلاق، سالم الصدر، له تأليف كثيرة في الحساب والفرائض..."[5]درس عليه الشيخ السنوسي، الفرائض والحساب.

بلقاسم بن محمد الزواوي (ت922 هـ)[6]: من علماء المالكية في وقته، ومن أكابر أصحاب الامام السنوسي.

من خلال شيوخ سيدي السنوسي، يتضح لنا سبب تنوع العلوم التي أتقنها، من العلوم الظاهر أو الباطن، وخاصة وأنّ أغلب شيوخه تنوعت معارفهم في أكثر من علم واحد، سواء في الأصول او في الفروع.

فظهر أمره، وأصبح قبلة للكثير من الشيوخ والعلماء، يستفيدون من علمه الغزير، في شتى أنواع العلوم والمعارف، حتّى قيل أنّه " لا يتحدث في علم إلا ظنّ سامعه أنّه لا يحسن غيره لا سيما علم التوحيد والمعقول، شارك غيره في العلوم الظاهرة، وانفرد بالعلوم الباطنة بل زاد على الفقهاء معرفة حل المشكلات

---

[1]- التنبكتي: نيل الابتهاج، ص 341. ابن مريم: المصدر السابق، ص 413. محمد مخلوف: المرجع السابق، ج1، ص266 . عادل نويهض: 57.

[2]- التنبكتي: نيل الابتهاج، المرجع السابق، ص 341. محمد مخلوف: المرجع السابق، ج2، ص266. عادل نويهض: المرجع السابق، ص 57.

[3]- السخاوي: المصدر السابق، ج4،ص 152. التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 257. الحفناوي: المصدر السابق، ج1، ص 64. محمد مخلوف: المرجع السابق، ج2، ص 264. عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني: **فهرس الفهارس ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، اعتناء إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1982م،ج2، ص732.أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص 116.سعيد عيادي: المرجع السابق، ص 184.166.

[4]- القلصادي: المصدر السابق، ص 30-52. السخاوي: المصدر السابق، ج6، ص14. ابن مريم: المصدر السابق، ص 274.

[5]- التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص274.

[6]- التنبكتي: المصدر نفسه، ص 150. ابن مريم: المصدر السابق، ص 166،428. عادل نويهض: المرجع السابق، ص 161.

لا سيما التوحيد، لا يقرأ في علوم الظّاهرة، إلّا خرج منها إلى علوم الأخرة لا سيما التفسير والحديث..."[1]، ما يؤكد اتقانه لمختلف العلوم وإدراكه لها أفضل وأكثر من المختصين فيها أنفسهم، ولا شك أن دعاء مشائخه له بالخير والبركة كان له تأثير ودور في حياته العلمية والتعليمية، بالإضافة الى تقواه وخوفه من الله عز وجل، قال تعالى" واتّقوا الله ويعلّمكم الله والله بكل شيئ عليم"[2]،

تلامذته: تتلمذ عليه الكثير من الطلبة، الذين عرف بالعلم والصلاح من بعده منهم:

أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عمر بن علي الملالي: الذي نقل لنا الكثير عن حياة شيخه، وألّف في ذلك كتابا.

احمد بن محمد بن محمد بن محمد بن يحي المعروف بابن جيدة المديوني الوهراني(ت951هـ/1545م)، أخذ من الشيخ السنوسي، مقدمته الصغرى[3].

احمد بن احمد بن محمد بن عيسى البرنسي، المعروف بزروق(ت899هـ1494م): فقيه عالم صوفي، اهتم بقراءات كتابه العقائد[4].

أحمد بن محمد بن الحاج البيدري[5].

محمد بن احمد بن أبي الفضل سعيد ابن صعد التلمساني (ت901/1495م):اديب، مؤرخ، فقيه وصوفي، له كتاب "روضة النسرين في مناقب الأربعة الصالحين"، وكتاب "النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب"[6].

إبراهيم الوجديجي التلمساني: الفقيه، العالم، الولي، شاعر ماهر[7].

محمد بن موسى الوجديجي (حيا930 هـ/1524م)[8].

---

[1]- التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 564. ابن مريم: المصدر نفسه، ص 414.
[2]- البقرة/281.
[3]- ابن مريم: المصدر السابق، ص 311.
[4]- التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 130.ابن مريم: المصدر السابق، ص 122.
[5]- التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 136.
[6]- التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر نفسه، ص575، ابن مريم: المصدر السابق، ص434. الحفناوي: المصدر السابق، ص 148.عادل نويهض: المرجع السابق، ص 195.
[7]- ابن مريم: المصدر السابق، ص 153.
[8]- التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 586.

محمد بن العباس التلمساني: عرف بالفقه والنحو، لازم الشيخ السنوسي كثيرا[1].

محمد بن أبي مدين التلمساني (حيا 920هـ/1514م): أخذ عنه الفقه والمنطق، وابن الحاجب، والرواية، والبخاري[2].**محمد بن قاسم توزينت**(ق9هـ): فقيه مالكي، متمكن في العلوم العقلية والنّقلية والحساب والفرائض، أخذ من الشيخ السنوسي، علم الفرائض والحساب[3].

هذا قليل من كثير، للطلبة الذين تلّقوا العلم من الشيخ سيدي محمد السنوسي، في مختلف العلوم والميادين المعرفية، فمثلما درس عند خيرت المشائخ والعلماء، فنقل ولقّن مختلف ما يدركه من علوم والمعارف وحتّى تجربته، للطلبة الذين إنهالوا عليه من كل حدب وصوب، فبلغوا أسما الدرجات ومختلف المقامات، وهذ لا شك لحسن القائه للدروس، والطريقة المثلى في إيصال الدروس، فلا يتحدث في علم إلا ظُن السامع انّه لا يتقن غيره، بالإضافة الى تنوع الدروس في حلقته، فحين يقرئ في العلوم الظاهرة إلا خرج منها للعلوم الاخرة،ومواعظه التي كانت تقشعر منه الجلود، وكان من يحضرها يعتقد إنه عنه.إلا أنّا نتساءل عن الأوقات التي كانت تخصص للتعليم والدروس؟. بما ان صاحب نيل الابتهاج، والبستان نقلا لنا يوميات الشيخ من الصبح الى غاية رجوعه ليلا من المسجد بعد صلاة العشاء، فلا تخلوا من امامة النّاس للصلوات المفروضة، والنوافل، ومطالعة الكتب، والذكر، ونسخ الكتب، هذه أكثر حالاته، حتّى أنّه غالبا ما ينام إلا ساعة[4].

المطلب الثاني: إسهاماته الفكرية.

لقد ساهم الشيخ محمد بن يوسف السنوسي في الحياة العلمية والتعليمية، من خلال دروسه ومواعظه، بالإضافة الى مؤلفاته التي تبين مدى موسوعيته، وإدراكه للمختلف العلوم العقلية والنّقلية، وعن حسه المعرفي العميق، منها:

---

[1]- التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر نفسه، ص 585. ابن مريم: المصدر السابق، ص 446.
[2]- التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 585.
[3]- التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر نفسه، ص 554.ابن مريم: المصدر السابق، ص 410. عادل نويهض: المرجع السابق، ص80 -81.
[4]- ابن مريم: المصدر السابق، ص 428.

في المنطق: "شرح جمل الخونجي" و " مختصر في علم المنطق" و"شرح إيساغوجي في المنطق"[1].

في التفسير: له تفسير سورة ص، وما بعدها من السور، وأوائل سورة البقرة الى قوله تعالى" وأولئك هم المفلحون"[2].

في الحديث: " شرح صحيح البخاري" و " شرح مشكلات البخاري"[3] وغيرها.

في الفقه: شرحه الكبير على الحوفية سمّاه " المقرب المستوفي بشرح فرائض الحوفي"، " شرح الوغليسية"[4].

في التصوف: شرح أبيات المنسوبة للالبيري (ت 238هـ)، واختصار الرعاية للمحاسبي(ت 243هـ)[5].

في التوحيد: عقيدة المختصرة أصغر من الصغرى، في أربعة كراريس. ومنها المقدمات المبينة لعقيدته الصغرى، في خمسة كراريس، و "العقيدة الوسطى"، و" شرح كلمتي الشهادة"، و" مكمل اكمال الاكمال"، و "المقدمات"، و" أم البراهين"، وقصيدة احمد بن عبد الله الجزائري في العقائد، وغيرها[6].

في الطب: شرحه رجز ابن سينا

في الرياضيات: شرح مقدمات الجبر والمقابلة لابن ياسمين.

في علم الكلام: " الدّر المنظوم وشرح جواهر الكلام للعضد"[7].

بالإضافة إلى كتب تأليف أخرى في شتّى علوم.

ومن خلال العلوم آنفة الذكر يتضح لنا مدى إهتمام الشيخ سيدي محمد السنوسي بعلم التوحيد، فيعتبره العلم الذي يورث معرفة الله تعالى ومراقبته، وهو سبب في فهم العلوم كلها، وكلما عرف الانسان ربه، ازداد خوفه منه، كما يرى ان له دور في توحيد صفوف الامة، وتوحيد افكارها وأراؤها، خاصة من الناحية العقدية.ويظهر لنا من ناحية أخرى المكانة العلمية للشيخ سيدي السنوسي، وموسوعيته في

---

[1]- التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 471. ابن مريم: المصدر السابق، ص 426، عادل نويهض: المرجع السابق، ص 181.

[2]- البقرة/5.

[3]- عادل نويهض: المرجع السابق، ص 181.180 .

[4]- ابن مريم: المصدر السابق، ص 426.424. عادل نويهض: المرجع السابق، ص 181.

[5]- ابن مريم: المصدر السابق، ص 426.

[6]- انظر التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 571-572. ابن مريم: المصدر السابق، ص 425-427. عادل نويهض: المرجع السابق، ص180.

[7]- ابن مريم: المصدر السابق، ص 427.

المنقول والمعقول، وهو ما أكده تلميذه محمد بن القاسم توزينت حينما قال:"كان شيخنا صالحا، عالما بالمنقول والمعقول، والنجم والحساب والفرائض، والاوقاف والخط والهندسة وبكل علم"[1]، وكان يخيّر طلبته قراءة في أي علم يريدون، وكان لا ينظر للكتب، " إلا مرّة واحدة، أشكلت عليه مسألة هندسية فنظرة فيها أيّاما فلم يجدها"[2]، فتركها ووجد حلّها بنفسه بعد تفكير عميق.

المطلب الثالث: صفاته الخُلُقية وكراماته الربانية.

عرف رضي الله عنه بعدة صفات أهل العلم، فكان حسن الاخلاق، سليم الصدر، لا يحقد على أحد، يكثر من ذكر الله تعالى، متواضع لا يتكبر ولا يضجر في أحد، ولله در القائل:

إنّ التواضع من خصـال المتقي وبه التّقي إلى المعالي يرتقي

ومن عجائب العجب من هو جاهل في حاله أهو السعيد أم الشقي...

فالتقوى سمة اتّصف بها ذوي الالباب، ولا شك انه منهم، مع العلم الغزير الذي عرف به، بالإضافة الى رقّة قلبه، والابتسامة التي لا تفارق وجهه[3]، يوقر الكبير ويقف مع الصغير، ويتواضع للضعيف، وكثيرا ما كان يقضي حوائج النّاس لدى السلطان رغم كرهه لذلك، ومن زهده كان ينفروا منهم، ويعتذر عن الهدايا التي تقدم له من طرفهم ويقول:" الولي الحقيقي من لو كشف له عن الجنّة وحُورها لم يلتفت إليها، ولا يركن لغيره تعالى"[4]، مما يؤكد على بلوغه رحمه الله أعلى المقامات، فلم يهتم بالجنة بقدر ما كان منشغلا بربّ الجنة، كما كان كثير الحياء، لا يرد مطالب النّاس في الكتابة للأمراء رغم نبذه ذلك، صبور حليم، لما يسمع من إساءة ، ويقابل القائل ذلك بالتبسم، ولا يلومه حتّى يُعتقد أنّه صديقه.

كان شديد الإنسانية على الدواب، ومنها قوله، أنه ينبغي للإنسان، أن يمشي برفق، لئلا يقتل دواب الأرض، وكان وجهه يتغير لضرب حمار بعنف[5].

---

[1]- ابن مريم: المصدر نفسه، ص 410.

[2]- التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 554. ابن مريم: المصدر السابق، ص 411. عادل نويهض: المرجع السابق، ص 80.

[3]- التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر نفسه، ص 565. ابن مريم: المصدر السابق، ص 415.

[4]- ا. ابن مريم: المصدر نفسه، ص ء417.

[5]- التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص568. ابن مريم: المصدر السابق، ص 419.

أمّا كراماته فقد ذُكر لنا القليل منها رغم كثرتها[1]، منها أنّ رجلا إشترى لحما من السّوق، فصلّى بها في المسجد، لسماعه الإقامة اثناء دخوله، وبعد سلامه وعودته للمنزل، طبخ الاهل اللحم، فبقيت على حالها، فأعلم الرجل الشيخ بذلك، فقال له: " يا بني أرجو الله تعالى، أنّ كل من صلّى ورائي لا تعدو عليه النّار، ولعلّ هذا اللحم كان معك حين صليت معي، ولكن أكتم ذلك"[2].

ومن كراماته توسل المرأة به حينما ضاع منها مفتاح بيتها، فوضعت يدها على القفل ونادت الله بجاه سيدي محمد بن يوسف السنوسي، فجذبت الباب فانفتح لها[3]، ولطالما اختلف العلماء والفقهاء حول جواز وانكار التوسل، فمجموعة من العلماء يرونه انه نافيا للكتاب والسنة، وأنّه عبادة لغير الله تعالى، وأما الذين جوزه، فاستدلوا بعدّة روايات اختلف حول صحّتها وحسنها وضعفها، منها: أنّ عمر بن الخطاب، كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللّهم إنّا نتوسل إليك بنبيّنا فتسقينا، وإنّا نتوسل إليك بعمّ نبيّنا فاسقنا، قال فيسقون،وهذا ممّا يدل على توسّل الصحابة بالنبي صلى الله عليه وسلم، في حياته وبعد ، وأمّا بعد وفاته، فقد روي عن النعمان عن سعيد بن زيد عن عمرو بن مالك النكري عن الجوزاء أوس بن عبد الله قال: قحط أهل المدينة قحطا شديدا فشكوا إلى عائشة، فقالت: انظروا قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فاجعلوا منه كُوًا إلى السّماء حتّى لا يكون بينه وبين السّماء سقف، قال ففعلوا فمُطرنا حتّى نبت العشب وسمنت الإبل، حتّى تفتّقت من الشّحم فسمي عام الفتق[4]، وروي عن ابي شيبة بإسناد صحيح ، أمّ النّاس أصابهم قحط شديد في زمن عمر، فجاء رجل إلى قبر النّبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "يا رسول الله استسق لأمّتك فإنّهم قد هلكوا، فأُتي الرجل في المنام فقيل له، ائت عمر، ما يدل على مكانة الرّسول صلى الله عليه وسلم، بعد موته وجاهه وشرفه التي كانت عند الله حال حياته[5]، وكذا الأمر بالنسبة للأولياء فإنّ العباد يتوسلون بمكانتهم ومقامهم وأعمالهم الصالحة عند المولى عزّ وجل، والله اعلم.

---

[1]- ابن مريم: المصدر السابق، ص 424.
[2]- ابن مريم: المصدر نفسه، ص 424.
[3]- ابن مريم: المصدر نفسه، ص 424.
[4]- محمد النوري الشّيخ رشيد: المرجع السّابق، ص 260.
[5]- محمد النوري الشّيخ رشيد: المرجع نفسه، ص 261.

ومن كراماته، ان الله سبحانه وتعالى اطلعه على جهنّم وما فيها، وهو ما كان سببا في كثرة خوفه ومراقبته لله عز وجل[1]، وهذا لا يحدث إلّا للمتّقين الصادقين الصّالحين.ومنه نجد أنّ الشّيخ محمد بن يوسف السنوسي، كان ظاهرة زمانه، في مختلف العلوم العقلية والنقلية، وحتّى علم الباطن، فالتزم بمذهب اهل السنة، وتأثره بالشيوخ الذين أخذ عنهم في مختلف العلوم، فجمع بين علم الشريعة وعلم الحقيقة، بين التّقوى والعلم، رغم انه لم يقم برحلات علمية سواء للمشرق او للمغرب، عكس شيخه سيدي الحسن ابركان، الذي ارتحل بعد وفاة اباه للينهل من علم علماء وصلحاء بجاية وقسنطينة.

ورغم ذلك فكلاهما من بيت علم وصلاح، ظهر علمهم وصلاحهم منذ صغرهم ولو هناك تفاوت في الدرجات، فالشيخ سيدي ابركان عرف واشتهر بالتصوف، عكس الامام السنوسي الذي غلب عليه إدراكه وفهمه لمختلف ولأغلب العلوم الظاهرة، رغم تصوفه كذلك، فكلاهما كان ينبذان السلاطين ولا يتقربان منهم، وكلاهما عاش في قرن عرف بالنشاط الثقافي الواسع، وانتشار التصوف الشعبي وادعاء الكثير انتمائه للتيار الصوفي.

[1]- ابن مريم: المصدر نفسه، ص 421.

الخاتمة

الخاتمة:

من خلال ما تقدم يتضح لنا أنّ انتشر التّصوف في العهد الزّياني يرجع لجهود السّلطان الأول يغمراسن بن زيان، الذي رسم نهجا إتّبعه خلفه من بعده، ممّا أدّى إلى انتشاره بشكل تدريجي في الدّولة الزيانية، طيلة ثلاث قرون بعدما كان منحصرا عند الفئة المثقفة، وشمل مختلف شرائح المجتمع، خاصة بظهور التصوّف الشعبي

– إنصهار وذوبان المتصوفة في المجتمع الزّياني، وتواصلهم الدّائم بالمجتمع، ممّا جعلهم يقدمون على حل الأزمات السياسية والمشاكل الاجتماعية، من خلال مكانتهم لدى السلاطين وللعلاقة الوطيدة التي تربطهم ببعض، ولإدراك السلاطين مدى الرّوابط والعلاقة الحميمية التي تجمعهم بالعامة والهيبة التي صارت لهم لدى النّاس باختلاف مستوياتهم، واعتقاد الكثير فيهم، وإسهاماتهم في الإصلاح والتكافل الإجتماعي، والاهتمام بالفئة المحرومة، والرّسوخ ونّمو التصوف داخل المجتمع. وانتشار التصوّف السنّي طيلة العهد الزياني، مقارنة بالتصوّف الفلسفي الذي لم يعرف له رواجا وإقبال من طرف العامة.

– ظهور العائلات المتصوفة، التي ورثت التصوف أبا عن جد، أو التي سلكت مسلكهم، أدّى للمحافظة على تعاليم الدينية من فقه وتصوف، رغم إشتهار البعض بالثّراء والجاه، إلا أنّ ذلك لم يمنعها من سلوك منهج المتصوفة، وهو ما أدّى إلى مصاهرة المتصوفة فيما بينهم، فكانت الأرضية الأساسية في زيادة نمو وانتشار هذه الظّاهرة،

– بروز المرأة الصّالحة المتّصوفة، التي ساهمت بدورها في ميدان التصوف، كزّوجة تهتم بزوجها الصوفي، وغالبا ما كانت تتبع نهجه، فأثرت وتأثّرت بالجوّ الرّوحاني، وأصبحت من أهم المصادر في نقل ورواية أخبار المتصوفة، رغم تحفظ الكثير عن ذكرهن، لاعتبارهنّ من الحرمات.

– الإرتباط الوثيق بين التصوّف والفقه، فلا نجد متصوّفا إلاّ متفقه، ولا متفقه إلّا إهتم بالتصوف، خاصة خلال القرن السابع، قبلأن يتراجع الامر خلال القرن الثامن والتاسع، لضعف العلمي والفقهي للفقهاء، وخوفهم على مصالحهم ومكانتهم لدى السلاطين

– ظهور الرّباطات التي إتخذت محلا للعبادة، والزّوايا التي برزت في القرن السابع، فساهمت في الحفاظ على التعاليم الدينية بشكل كبير، من خلال شيخها المربي الذي يسعى إلى الطّهار الروحية للمريد،

وتلقينه مختلف العلوم الدينية، والاعتناء بالطالب من حيث المأوى والإطعام، وما كثرت إنتشارها دليل على اهتمامهم بالعلم.

– إنصاف الفقهاء في مسائل المتصوفة، كحرق كتاب الغزالي، مستنكرين هذا الفعل مبرزين مكانة الإمام، برسوخه في العلم، وقضايا السماع والوجد والكرامات، التي فصلوا فيها، والفرق بينهم وبين العامة في هذه الظاهرة.

– بلوغ الحركة العلمية مراحل جد متقدمة بفضل ما قدّمه المتصوفة من مؤلفات في مجالي العقلي والنقلي وإسهاماتهم في المجال التعليمي، بالرّغم من الاضطرابات السياسية التي عرفتها المنطقة، إلا أن ذلك لم يقف عثرة أمامهم، فبرز العديد من العلماء في الجانب الصوفي، فاشتهروا بالكرامات أكثر كالشيخ سيدي الحسن أبركان، أو من اشتهر في جمعه للمختلف العلوم والمعارف كالشيخ سيدي محمد بن يوسف السنوسي، الذي هو تلميذ الشيخ أبركان، فيعتبر وحيد زمانه، في إدراكه لمختلف العلوم.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع بالعربية:

***القرءان الكريم**

أوّلا: المصادر الأوّلية.

01/ الباديسي إسماعيل:**المقصد الشريف والمنزَع اللطيف في التّعريف بصلحاء الريف**، تحقيق سعيد أعراب، المطبعة الملكية، الرّباط، 1993م.

02/البرزلي أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي (ت 841هـ):**جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكّام**، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 2002، ج6.

03/ البستي علي بن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد بن عبد العزيز (ت 387هـ): **ديوان**، تحقيق، دريّة الخطيب ولطفي الصقّال، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق،

04/ البوصيري محمد سعيد (ت696هـ): **ديوان البوصيري**، دار المعرفة، بيروت، 2007م.

05/ التّنبكتي بابا أحمد(ت956هـ): **نيل الإبتهاج بتطريز الدّيباج**، تحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كليّة الدّعوة الإسلامية، طرابلس،1989م.

06/التنسي محمد بن عبد الله(ت899هـ): **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان**، تحقيق محمود بوعياد، المؤسّسة الوطنية، الجزائر، 1985م.

07/ ابن تيمية أحمد (ت729هـ):**مجموعالفتاوة**، جمع وترتيب عبد الرّحمان بن أحمد بن قاسم، مجمع الملك بن فهد للطباعة، المملكة العربية السعودية،2004م، ج 10.

08/ الجرجاني علي بن محمد السيد الشريف(ت816هـ):**معجم التعريفات**، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، 2004م.

09/ ابن الجوزي جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمان بن علي (ت597هـ):**صفوة الصّفوة**، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992م،

10/.....،**تلبيس إبليس**، دار القلم، بيروت، دت.

11/الحفناوي أبو القاسم محمد بن الشّيخ بن أبي القاسم الديسي بن إبراهيم الغول: **تعريف الخلف برجال السّلف**، مطبعة بيير، الجزائر، 1906م.

12/الحلاج أبو عبد الله حسين بن منصور(ت309هـ): **ديوان الحلاج**، جمع لويس ماسينيون، دم، دب، دت.

13/ابن الخطيب لسان الدين(ت 776هـ):**الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1973م،ج3.

14/ابن خلدون عبد الرّحمان (ت808هـ):شفاء السّائل في لتهذيب المسائل، تحقيق أبو يعرب المرزوقي، الدّار العربية للكتاب، دب، 1991م.

15/ .....**تاريخ أبن خلدون المسمّى، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ضبط خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2001م. ج1.

16/إبن خلدون يحي (ت780هـ):**بغية الرّواد في ذكر ملوك بني عبد الواد**، تقديم وتعليق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، 1980.

17/الزّبيدي محمّد مرتضي الحسيني : **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق مصطفى حجازي، د ط، مطبعة حكومة الكويت، الكويت 1408هـ/ 1987م، ج12

18/الزّركشي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم (ت794هـ): **تاريخ الدّولتين الموحّدية والحفصية**، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ص 1966م.

19/زروق أبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى (ت899هـ):**قواعد التصوف**، تحقيق عبد المجيد حبالي، دار الكتب العالمية، بيروت، 1987م.

20/السّخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمان(ت 902): **الضوء اللاّمع لأهل القرن التّاسع**، دار الجيل، بيروت، دت.

21/السلمي أبو عبد السّلام (ت412هـ): **طبقات الصّوفية**، تحقيق محمّد خالد العطّار، دار الفكر، بيروت، 2014م.

22/الشّعراني عبد الوهاب(ت973هـ)، **الطّبقات الكبرى المسمّاة لواقح الأنوار القدسية في مناقب العلماء الصّوفية**، تحقبق وضبط أحمد عبد الرّحيم وتوفيق علي وهبة، مكتبة الثقافة، القاهرة، 2005م.

23/.....**الأنوار القدسية في بيان أداب العبودية**، العامرة الشّرقية، مصر، ط1، 1317.

24/.....، **تنبيه المفترين**، تحقيق، أحمد عبد الرّحمان، المكتبة التّوفيقية، مصر، دت.

25/إبن الشّماع أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت 833هـ):**الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدّولة الحفصية**، تحقيق الطّاهر بن محمد المعموري، الدّار العربية للكتاب، 1984م.

26/الطوسي أبو نصر السّراج(ت378هـ): **اللّمع**، تحقيق عبد الحليم محمود، وطه عبد الباقي، دار الكتب الحديثة، مصر، مكتبة المثنى، بغداد، 1960م.

27/العبدريمحمد(ت خلال720 هـ): **الرّحلة المغربية**، تقديم سعد بوفلاّقة، منشورات بونة، عنابة، 2007م.

28/إبن عجيبة أحمد بن محمد (ت1224هـ):**إيقاظ الهمم في شرح الحكم**، دار الفكر، دب، دت.

29/إبن عربي محي الدّين (ت638):**الفتوحات المكية**، تحقيق عثمان يحي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دب، ط2،1985م.

30/الغبريني أحمد بن أحمد بن عبد الله أبو العباس(ت714هـ): **عنوان الدّراية فيمن عرف من العلماء في المائة السّابعة ببجاية**، حققه وعلّق عليه عادل نويهض، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1979م.

31/ الغزالي أبوحامد(ت 505هـ):**إحياء علوم الدّين**، تقديم صدقي محمد جميل العطار، دار الفكر، بيروت، 2003م، ج4.

32/الغمري محمد (ت820هـ) :**قواعد الصّوفية**، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، مكتبة مديولي، القاهرة، 2003م.

33/ ابن الفارضي أبو الوليد عبد الله بن محمّد بن يوسف الأزدي(ت403هـ):**تاريخ علماء الأندلس**، الدّار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966م.

الفكون عبد الكريم: **منشور الهداية في كشف حال من إدّعى العلم والولاية**، تحقيق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م.

34/ابن فرحون أبراهيم بن نور الدّين(ت799هـ): **الديباج المذهب في معرفة أعيان وعلماء المذهب**، تحقيق مامون بن محي الدّين الجنّان، الدّار الكتب العلمية، بيروت، 1996م

35/القاشاني كمال الدين عبد الرزّاق (ق 8):**إصطلاحات الصّوفية**، تحقيق محمد كمال إبراهيم جعفر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1981م.

36/القرّافي بدر الدين محمد بن يحي عمر(ت1008):**توشيح الديباج وحلية الابتهاج**، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2004م.

37/القشيري أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك إبن أبي طلحة : **الرّسالة القشيرية،** مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، د ت.

38/العكري إبن عماد شهاب الدّين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد(ت1089هـ):**شذرات الذهب في أخبار من ذهب،** تحقيق محمود أرناؤوط، دار إبن كثير، دمشق، بيروت، 1992م، مجلد 08.

39/إبن قنفذ أبو العباس أحمد بن حسين بن علي الخطيب (ت 733هـ): **الفارسية في مبادئ الدّولة الحفصية،** تحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدّار التونسية للنشر، تونس، 1968م.

40/.....:**أنس الفقير وعز الحقير،** تصحيح محمد الفاسي وأدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرّباط، 1965م.

41/.....:**الوفيات،** تحقيق عادل نويهض، دار الافاق الجديدة، بيروت، ط4، 1973م.

42/ كربخال مرمول: **إفريقيا،** ترجمة محمد حجي وأخرون، دار نشر المعرفة، الرباط، 1989م، ج2.

43/ الكلاباذي أبوبكر محمد بن إسحاق(ت380هـ): **التعريف لمذهل أهل التّصوف،** دار الكتب العلمية، لبنان، ط1،1993م.

44/مجهول:**الإستبصار في عجائب الأمصار،** تعليق سعد زغلول، الإسكندرية، مطلعة الجامعة، 1958م.

45/مجهول:**مفاخر البربر،** تحقيق فبد القادر بوباية، دار أبي رقراق، الرّباط، 2005م.

46/ المراكشي أبو محمد عبد الواحد بن علي:**المعجب في تلخيص أخبار المغرب،** شرحه صلاح الدّين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط1،2006م.

47/ إبن مرزوق أبو عبد الله محمّد (ت781هـ) : **المناقب المرزوقية**، دراسة وتحقيق سلوى الزّاهري، مطبعة النجاح الجديدة، الدّار البيضاء، 2008م،

48/.....:**المسند الصّحيح في مأثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، تحقيق ماريا خيسوسبيغيير، الشركة الوطنية، الجزائر، 1981م,

49/المقّري أحمد بن محمد(ت 1041هـ): **نفح الطيّب في غصن الأندلس الرّطيب**، تحقيق إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، 1988، ج5.

50/إبن الملقن سراج الدّين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد المصري (ت804 هـ):**طبقات الأولياء**، تحقيق نور الدين شريبه، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1994م.

51/المكناسي أحمد بن القاضي: جذوة الإقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، 1973م.

52/المليتي بن مريم (حيّا 1025هـ):**البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان**، تحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العالمية، بيروت، 2014م.

53/أبو الفضل جمال الدّين محمّد ابن مكرم بن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، دس، مجلد9.

54/بن هلال إبراهيم (ت903 هـ): **الرّد على من إتخذ الشّطح والرّقص عبادة**، تحقيق عبد الله الهلالي، مكتبة العلوم والحكم، 2014م.

55/الوزان الحسن : **وصف إفريقيا**، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983م.

56/ الونشريسي: أبو العباس بن يحي (ت914هـ): **المعيار المعرب والجامع المغرب في فتاوة أهل إفريقيا والأندلس والمغرب**، إشراف محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرّباط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م، ج12.

ثانيا: المراجع الحديثة.

01/ إدريس محمد: **مظاهر الإنحرافات العقدية عند الصّوفية وأثرها السّيئ على الأمّة الإسلامية**، مكتبة الرّشيد، الرّياض، ط2، 1998م، مجلد01.

02/بوداود عبيد: ظاهرة التّصوف في المغرب الأوسط مابين القرنين السّابع والتّاسع الهجريين(ق13-15هـ) دراسة في التّاريخ السوسيو ثقافي، دار الغرب الإسلامي، وهران، 2003م.

03/بلعربي خالد: **الدّولة الزيانية في عهد يغمراسن دراسة تاريخية حضارية633-681هـ/1235-1282م**، دار الألفية، الجزائر، 2011م.

04/ ..... .: **ورقات زيانية** دراسة وأبحاث في تاريخ المغرب الأوسط في العهد زياني، دار هومة، الجزائر، 2014م.

05/بل ألفرد : **الفرق الإسلامية في الشّمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم**، ترجمة عبد الرحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.

06/بلعالم محمد باي :**كشف الدثّار شرح على تحفة الأثار**، مطبعة عمار قرفي، باتنة، دت.

07/ التركي ملكه علي: **مدخل إلى الأدب الصوفي الفارسي**: جامعة عين الشمس، دب، ط2، 1998م.

08/ الجهني مانع بن حمّاد :**الموسوعة الميسّرة في الأديان والمذاهب الأحزاب المعاصرة**، دار النّدوة العالمية، الريّاض، ط4، 1420هـ، مج 4.

09/ حساني مختار: تاريخ الجزائر الوسيط، دار الهدى، عين مليلة، 2013م، ج4.

10/الخفاجي محمد عبد المنعم : الأدب في التراث الصوفي، مكتبة غريب، القاهرة، دت.

11/رضا أحمد: معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1960م، ج4.

12/بن زكرياء أبي الحسين أحمد بن فارس : معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة، 1972م.

13/ سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي من الفتح إلى القرن التّاسع الهجري، عالم المعرفة، الجزائر، 2015م، ج1.

14/.....:تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرّابع عشر(16-20م)، الشّركة الوطنية، الجزائر،1981م، ج 1.

15/.....بحوث في التّاريخ العربي الإسلامي، بيروت، 2003م.

16/السّهلي عبد الله بن دجين :**الطّرق الصوفية نشأتها وعقائدها وأثارها**، دار كنوز إشبيليا، الرّياض، ط1، 2005م.

17/الشيخ رشيد محمد نوري :**ردود على شبهات السّلفية**، مطبعة الصباح، دب، 1987م.

18/شاوش الحاج محمّد بن رمضان :**باقة السّوسان في التعريف بحاضر تلمسان عاصمة بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011، ج 1.

19/ صادي جيلالي :**تلمسان الزّيانية**، ترجمة مسعود الحاج مسعود، دار القصبة، الجزائر، 2011.

20/الطّمار محمد بن عمرو:**تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر**، المؤسسة الوطنية، الجزائر1984م.

21/ الطمّار محمد:**تاريخ الأدب الجزائري**، ديوان المطبوعات الجامعية، تقديم عبد الجليل مرتاض، الجزائر، ط2، 2010م.

22/.....: **الرّوابط الثّقافية بين الجزائر والخارج**، الشركة الوطنية، الجزائر، 1983م.

23/ظهير إحسان إلهي :**التّصوف المنشأ والمصدر**، إدارة ترجمان السنّة، باكستان، ط1، 1986م.

24/ العجم رفيق :**مصطلحات التصوف الإسلامي**، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1999م.

25/ العلوي هادي:**مدارات الصوفية**، دفاتر النّهج، سوريا، 1997م.

26/عون فيصل بدير: **التّصوف الإسلامي الطّريق والرّجال**، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، 1983م.

27/ فتّاح عرفان عبد الحميد : **نشأة الفلسفةالصّوفية وتطورها**، دار الجيل، بيروت، ط1، 1993م.

28/فتحة محمد:**النّوازل الفقهيّة والمجتمع: أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي(من القرن6إلى9هـ/12،15م)**، دار الإيمان، الرباط، 1999م.

29/ فيلالي عبد العزيز: تلمسان في العهد الزّياني، موفم للنّشر، الجزائر، 2002م.

30/فيلالي مختار الطّاهر:**نشأة المرابطين والطّرق الصوفية وأثرهما**، في الجزائر خلال العهد العثماني، دار الفن القرافيكي، باتنة، ط1، دت.

31/الكتّاني محمد لن جعفر بن إدريس:**سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصّلحاء بفاس**، تحقيق محمد حمزة بن علي الكتّاني، دم، دب، دت.

32/بن لمبارك نجيب: **ذخائر حاضرة تلمسان**، القافلة للنشر، الجزائر، 2012، ج2.

33/لوج محمد أحمد: **تقديس الأشخاص في الفكر الصّوفي**، دار إبن القيم، مصر، ط1، 2002، ج10.

34/ دائرة المعارف الإسلامية: **مادة التصوف**، مركز الشّارقة، للإبداع الفكري، دب، 1998م، ج7.

35/مؤيّد صلاح الدّين: **الطّرق الصوفية والزّوايا بالجزائر، تاريخها ونشاطها**، دار البراق، لبنان، 2002م.

36/مشاط حسين محمد: التّقريرات السنية بشرح المنظومة البيقونية في مصطلح الحديث، تحقيق فوّاز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط5، 2003م.

37/مرتاض محمد:**التجربة الصّوفية عند الشّعراء المغرب العربي في الخمسية الهجرية الثّانية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011م، ص 17.

38/أبو مصطفى كمال الدّين :**جوانب من الحياة الاجتماعية والإقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال النوازل وفتاوى المعيار للونشريسي**، مركز الإسكندرية للكتاب، 1992.

39/النجّار عامر :**الطرق الصوفية بمصر في مصر نشأتها نظامها وروّادها**، دار المعارف، القاهرة، ط2، دت.

40/النّشار علي سامي :**نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**، دار المعارف، القاهرة، ط9، دت.

41/ نويهض عادل : معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض للثقافة، بيروت، ط2، 1980م.

42/ يس إبراهيم إبراهيم:**مدخل إلى التّصوف الفلسفي**، دم، دب، 2002م.

ثالثا: الرسائل الجامعية

01/ الطاهر بونابي:**الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتّاسع الهجريين14-15الميلاديين**، رسالة دكتورة، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008-2009م.

02/مزود سامية :**المجاعة والأوبئة في المغرب الأوسط (588-927هـ/1192-1520م)**، رسالة ماجستير، كلية الأدب والعلوم الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008-2009.

رابعا: المقالات

01/ جاب الله الطيب: دور الطرق الصوفية والزّوايا في المجتمع الجزائري، مجلّة المعارف، جامعة البويرة، العدد 14، أكتوبر، 2013م.

02/حساني مختار: الأحوال الثقافية في الدّولة الزيانية، محاضرات الموسم الثقافي 98-99، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 1999م.

حمداوي جميل: **المصطلح** الصوفي: مجلة المنهاج، العدد 55، 2009م.

03/خميس ساعد: **حول حقيقة التّصوف،** مجلّة جامعة الأمير عبد القادر، العدد 12، ديسمبر، 2002م.

04/ داودي فاطمة :**التّصوف الإسلامي مفهومه وأصوله،** حوليات التراث، العدد01، جامعة مستغانم، الجزائر، 2004م.

05/ العماري الطيّب: **الزّوايا والطرق الصوفية بالجزائر التحول من الديني إلى الدنيوي ومن القدسي إلى السياسي**- دراسة أنثروبولوجيا- مجلّة العلوم السياسية والإجتماعية، جامعة بسكرة، العدد 15، جوان 2014.

06/فركوس صالح:**التصوف والصوفية،** ضمن كتاب: تاريخ الجزائر الثقافي من العهد الفينيقي إلى نهاية الدّولة الزّيانية، قالمة، ج1، 2011م.

07/ مبخوت بوداود: دور علماء تلمسان الزّيانية في ترسيخ الحضارة الإسلامية بالسودان الغربي(ق15-16هـ)، مجلّة الواحات، العدد01، ديسمبر2006م.

08/ ولد حمزة يعقوب: التصوف الإسلامي المصدر، المؤثرات، الأدوار

موقع:http://kermesyn.blogspot.com/

المقالات الأجنبية:

01/Denis gril:**de l'usage sanctifiaint des bienes en islam** in :revue de l'histoire des religims 215 ،n°1 ،1998.

02/Ericgeoffroy:**lamort du saint en islam**،lome 215 ،n° 1،1998 ،les voies de la sainteté dans l'slam et le charstinisme

فهرس المحتويات

	الصفحة
الاهداء الشكر و العرفان	
المقدمة	أ-ح
التّصوف وإرهاصاته في المغرب الاوسط	7
المبحث الأول: ماهية التصوف	8
المطلب الأول: تعريف التصوف	8
المطلب الثاني: أنواع التصوف	15
المبحث الثاني: : الجغرافية وعوامل بروز الحركة الصّوفية في المغرب الأوسط	22
المطلب الأول: الحدود الجغرافيا للمغرب الأوسط	22
المطلب الثاني: العوامل المساهمة في إنتشار التصوف بالمغرب الاوسط	24
الفصل الأول: دور المتصوّفة في الأوضاع السياسية والحياة الاجتماعية	27
المبحث الأول: دور المتصوفة في الأوضاع السياسية	28
المطلب الأول: علاقة المتصوفة بالسلاطين	28
المطلب الثاني: مكانة المتصوفة لدى السلاطين	32
المطلب الثالث: دور المتصوفة في الأزمات	34
المبحث الثاني: إسهامات المتصوفة في الحياة الاجتماعية	36
المطلب الأول: إسهامات المتصوفة في التكافل والإصلاح الاجتماعي	36
المطلب الثاني: الأسر المتصوفة	39
المطلب الثالث: النساء المتصوفات	42
الفصل الثاني: دور المتصوفة في الحياة الدينية والحركة العلمية	46
المبحث الأول: تأثير المتصوفة في الحياة الدينية	47
المطلب الأول: علاقة المتصوفة بالفقهاء	47
المطلب الثاني: الرباطات وزوايا المتصوفة	51
المطلب الثالث: من قضايا المتصوفة من خلال النوازل (المعيار للونشريسي نموذجا)	54
المبحث الثاني: إسهامات المتصوفة في الحركة العلمية	58

المطلب الأوّل: دور المتصوّفة في التّعليم	58
المطلب الثاني: إسهامات المتصوّفة في العلوم النّقلية	60
المطلب الثاني: إسهامات المتصوّفة في العلوم العقلية	63
الفصل الثالث: نماذج من متصوفة العهد الزياني	67
المبحث الأول: الشيخ الحسن أبركان	68
المطلب الأوّل: التعريف به وبنسبه	68
المطلب الثاني: حياته العلمية	69
المطلب الثالث: زهده وكراماته	72
المبحث الثاني: الشيخ محمد بن يوسف السنوسي	74
المطلب الأوّل: التّعريف به وحياته العلمية	74
المطلب الثاني: صفاته الخُلُقية وكراماته الربّانية	78
المبحث الثالث: صفاته الخُلُقية وكراماته الربّانية	80

ملخص باللغة العربية:

-اختلف المتصوفة والدّارسون للتصوف في اشتقاق الكلمة ونسبتها، وارجعه كل واحد منهم للأسماء الاتية: الصوف، الصفاء، الصفات الحميد، الصف الأول، صوفانة، تيو صوفيا اليونانية، غوث بن مر...، نفس الامر بالنسبة لتعريفه، الذي عرف تشعبات واختلاف بين المتصوفة لتعدد مقاماتهم واحوالهم، فعرّف بمعنى الذوق، الأخلاق، السلوك، المجاهدة، الإخلاص، التسليم، الصّفاء.

-كما عرف التصوف عدة أنواع، التصوف السني: الذي التزم أصحابه اتباع كتاب الله وسنة رسول الله، والتصوف الفلسفي: تأثر اصحابه بالفكر الغربي وادمجوه مع اذواقهم الصوفية، التصوف الطرقي: باتخاذ شيخ للسلوك وبلوغ اعلى المقامات ...

-عدم وضوح معالم الجغرافيا للدولة الزيانية للحروب الطاحنة ولمد والجزر، الذي عرف في حدودها مع جيرانيها الحفصيين والمرينين، لكن غالبا ما كانت من بجاية وبلاد الزاب شرقا إلى وادي ملوية غربا، وبلاد توات جنوبا.

-كان لعدة عوامل دور كبير في رسوخ التصوف بالمغرب الأوسط الدولة الزيانية خاصة، منها العامل السياسي وقلة الامن المتمثلة في الحروب والمعارك، والعامل الاقتصادي، المتمثل في الحصار وقلة الغذاء والمؤونة، والمجون واللهو والترف، الذي انغمس فيه الكثير من ذوي المال والجاه. والرحالات الى المشرق والكتب المشرقية التي جيئ بها، ودور الشيخ ابي مدين شعيب في نشر تعاليم الصوفية.

-اتسمت العلاقة بين المتصوفة والسلاطين بالود والاحترام في اغلبها، فكانت لهم مكانة خاصة، كما ساهموا في حل الازمات والحروب التي حدقت بالدولة، كما كان لهم تأثير على مستوى الاجتماعي، من خلال اصلاح بين المتخاصمين، وإنفاق أموالهم وجعلها تحت تصرف المحتاجين، أثناء مراحل العسرة التي مرت بها المنطفة من اوبئة وجفاف ...، ومساعدة المقبلين على الزواج في المهر. – عرفت عدة منازل خلال الفترة الزيانية بالتصوف، كأسرة المرازقة، وبني النّجار، وبني تميم، وبني الخيّاط...، التي ساهمت في نشر التعاليم الصوفية والدينية، مما ادّى الى المصاهرة فيما بينهم، نتيجة لبروز ولمكانة المرأة الصوفية، التي اخذت التعاليم الدينية من الاسرة، وساهمت في رواية اخبار المتصوفة.

– شهدت العلاقة بين المتصوفة والفقهاء بالود والاحترام، خاصة خلال القرن السابع فاهتم كلاهما بعلم

الاخر، وكان يحضران المجالس، سواء كانت فقهية او صوفية، إلا انها قلت بعد ذلك لادعاء البعض التصوف، ولضعف علم الفقهاء، وحرصهم على مصالحهم الشخصية لدى السلاطين، كما تناول الفقهاء بعض السّلوكات التي تصدر من المتصوفة، وما تعلق بحرق البعض كتاب الاحياء، لأبو حامد الغزالي، ما جعل الفقهاء المغرب الأوسط خاصة، يستنكرون ذلك، ويبجلون المتصوفة على بعض سلوكاتهم التي لا تخلوا من البر والتقوة والتمسك بكتاب الله وسنّته ، لا الذين يدّعون التصوف ويستغلونه لأغراضهم الشخصية.

—كان للمتصوفة دور كبير تعليم الصبيان والشباب في المدارس والزوايا، كما ساهموا في تطور العلوم سواء كانت عقلية (الرياضيات والمنطق....)، او نقلية(الفقه، القراءات، التفسير، اللغة والادب، الحديث)، فإزدهرت الحركة العلمية بشكل ملفت، مما جعلهم قبلة للمشارقة والمغاربة، فانكبوا عليهم للتعلم، خاصة والتشجيع الذي لقوه من السلاطين وحرصهم على التقدم العلمي والثقافي عموما.

—كان للشيخ سيدي الحسن أبركان شهرة منقطعة النظير، للكرامات، وزهده التي اشتهر به، فكان مهابا من السلاطين والعامة، الذين كانوا يزورنه ويتبركون به، والشيخ سيدي محمد بن يوسف السنوسي، الذي عُرف بإدراكه لمختلف العلوم العقلية والنّقلية، فألّف وأبدع في ذلك خاص في الجانب العقدي، الذي رأى أنّه من العلوم التي تكسب مخافة الله، وهو تلميذ لسيدي الحسن أبركان الذي دعا له بالعلم.

Research Summary:

-achtlv Sufis and Aldarco of mysticism in the derivation of the word and increase, and attributing every one of them for the names of the following: wool, serenity, qualities Hamid, first row, Soufanh, Theo Sophia Greek, Relief bin over ..., the same thing for the definition, who knew the ramifications and the difference between Sufis of the multiplicity of shrines and living, he knew the sense of taste, ethics, behavior, Mujahid, sincerity, delivery, serenity. -as Knew mysticism several types, the Sunni mysticism: who committed his companions to follow the Book of Allah and the Sunnah of the Messenger of Allah, and mysticism philosophical: affected owners Western thought and Admjoh with Sufi tastes, mysticism road: take Sheikh behavior and attain the highest standings ...

-Do clarity geography of the state landmarks Alzayanih wars and grinding tide, which was known in its border with Geraneha Hafsids and Almarenan, but were often of Bejaia and Zab country's east to west valley twisted, and the country's south Toit. Kahn for several large role in the stability of Sufism in Morocco East State private Alzayanih factors, including the political factor and the lack of security of wars and battles, the economic factor, of the blockade and the lack of food and rations, and promiscuity and fun and luxury, which immerses himself a lot of people with money and prestige. Charters and to Orient Oriental and books that brought in, and the role of Sheikh Abu Shuaib owes in spreading the teachings of Sufism.

-atzmt Relationship between the Sufis and sultans friendliness and respect in most of them, was to Ham special place, also contributed to the resolution of crises and wars that have beset the country, as they had an impact on the social level, through reform between two disputing parties, and spend their money and make it available to those in need, during the ten stages which passed out of the area are epidemics and drought ... and help couples in dowry.

- I knew several houses during the period Alzayanih mysticism, as a family Alemrazkh, and Bani Najjar, and Bani Tamim, and built-Khayat ..., which contributed to the dissemination of the teachings of Sufism and religious, which led to intermarriage among themselves, as a result of the emergence and status of Sufi women, which took the religious teachings of family, contributed to the novel News Sufis.

- And saw the relationship between the Sufis and scholars friendliness and respect, especially during the seventh century Vahtam both the knowledge of the other, and was attending the councils, whether doctrinal or mystical, but she said afterwards to claim some mysticism, and the weakness of science scholars, and their eagerness to personal interests with the sultans, also addressed jurists some

behaviors that are issued from the Sufis, and attaches to burn some book neighborhoods, for Al-Ghazali, making jurists Morocco East especially, denounce it, and revere the Sufis to some behaviors that are not abandoned from the mainland and met him and stick to the book of God and the Sunnah, not who claim mysticism and using him for their own purposes.

- Had a mystical big role education of boys and young people in schools and crannies, also they contributed to the development of science, whether mental (mathematics and logic ....), or Nkulaih (Fiqh, readings, interpretation, language and literature, modern), flourished scientific movement dramatically, making them a kiss for Masharaqah and Moroccans, Vankpoa them to learn, and private encouragement to Guo of the sultans and their eagerness to general scientific and cultural progress.

- Was to CheickSidi Hassan Aberkane unrivaled reputation, the dignities, and asceticism that infamous, was Mhaba of the sultans and the public, who were Azornh and source of blessing, and Sheikh Sidi Mohamed Ben Youssef al-Sanusi, who knew knew that for various mental and transport science, motion, and excelled in that particular in lumpy side, who felt that it was science that earn the fear of God, a disciple of Sidi Hassan Aberkane who called him to science.